

الوصايا العشر في المفهوم المسيحي

الكتاب الثالث

لا تقتل

لقداسة البابا شنودة الثالث

CONTEMPLATIONS ON THE TEN

COMMANDMENTS

VOL.3. The 6th COMMANDMENT

BY H.H. POPE SHENOUDA III

الكتاب: الوصايا العشر - الكتاب الثالث: لا تقتل.
المؤلف: قداسة البابا شنودة الثالث.
المطبعة: الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية.
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٥٨٦ / ١٩٧٧ م.



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية ١١٧١

الفهرس

٦	تصدير
٧	مقدمة
٨	الفصل الأول القتل المباح
٨	القتل عقوبة كسر الوصايا
٩	حق الله في القتل
١٠	حق الدولة في القتل
١٠	قتل الحيوانات والحشرات
١١	الرفق بالحيوان
١٣	الفصل الثاني أهمية هذه الوصية
١٦	الفصل الثالث أنواع من القتل
١٦	الحرب والقتل
١٧	القتل بالتعقيم
١٨	الإجهاض
١٩	القتل بالنية والفكر
٢٠	القتل المعنوي
٢٠	القتل الجزئي
٢٢	الفصل الرابع القتل غير المباشر
٢٢	قتل الأعصاب
٢٣	قتل الأجراء
٢٤	القرض والربا والرهن
٢٤	الامتناع عن الإغاثة
٢٥	القتل بالمسؤولية
٢٨	الفصل الخامس قتل الروح
٢٨	أمثلة من قتل الروح:
٢٨	البدع والهرطقات

٣٠	إهمال الرعاية
٣١	أحكام الحرم الظالمة.....
٣٢	إهمال تربية الأولاد
٣٣	القدوة السيئة
٣٤	العثرة
٣٦	الانتحار الروحي
٣٧	الفصل السادس قتل الإنسان لنفسه
٣٧	الانتحار
٣٨	الانتحار التدريجي أو غير المباشر
٤٠	التدخين
٤٣	الاشتراك في قتل الآخرين:
٤٤	الخمر والمخدرات
٤٥	المخدرات
٤٦	الفصل السابع إجابة أسئلة تتعلق بالموضوع

تصدير

لم تكن الوصايا العشر، وصايا خاصة بزمان موسى النبي، ولا بالعهد القديم فقط، إنما هي خاصة بكل جيل لأن السماء والأرض تزولان، وحرف واحد من وصايا الله لا يزول (مت ٥: ١٨).

إنما المسيحية أعطت الوصايا العشر مفهوماً خاصاً، يتفق مع السمو الذي فهمه المؤمنون في العهد الجديد. وبقيت الوصايا ثابتة، ولكن مفهوماً يتسع، حبّ يمنح الله بنعمته مجالاً للتأمل. وما أصدق قول داود النبي: "لِكُلِّ كَمَالٍ رَأَيْتُ حَدًّا، أَمَّا وَصِيَّتُكَ فَوَاسِعَةٌ جِدًّا" (مز ١١٩: ٩٦).

وقد ألقى هذه المحاضرات سنة ١٩٦٧م، ونشرناها أكثر من مرة، وها نحن نُعيد طبعها كما ألقى وقتذاك.

شأنه الثالث

١ يوليو ١٩٨٠م (٢٤ بؤونة)

عيد القديس موسى الأسود

مقدمة

لعل البعض منكم يسأل متعجبًا: وما شأننا نحن بوصية "لا تقتل"؟ وهو في ذلك يظن أن هذه الوصية خاصة بالمجرمين أو السفاحين أو سافكي الدماء، وليست خاصة به هو! ونحن نريد الآن بمعونة الله أن نعرف أهمية هذه الوصية بالنسبة لكل منا شخصيًا.

نريد أن نعرف أيها الأخ الحبيب ما دخل هذه الوصية في حياتك؟ وهل أنت حقًا لم تكسر هذه الوصية في يوم ما؟ أليس من الجائز أن تكون قد كسرتها وأنت لا تدري؟!!

ولكن قبل أن نفحص هذه النقطة نريد أن نتعرض لمسألة أخرى وهي: هل أمر الله بالإنهية عن القتل بصفة مطلقة. أم هناك أنواع من القتل قد صرح بها الرب ولا تدخل في نطاق الخطيئة؟

الفصل الأول القتل المباح

إن الله الذي أعطانا هذه الوصية قائلاً: "لَا تَقْتُلْ"، قد صرح بنفسه بالقتل في حالات معينة. بل نقول أكثر من هذا إنه لم يصرح فقط بل أمر أمراً.

إذ قيل جعل القتل عقوبة واجبة للتنفيذ على من يقترب بعض الذنوب. ولا نبالغ إذا قلنا إن جميع الوصايا السبع الأولى، كل من يكسر واحدة منها كانت عقوبته القتل.

القتل عقوبة كسر الوصايا...

مثال ذلك كسر الوصية السابعة التي تقول: "لَا تَزْنِ" فإن الشريعة كانت تأمر بأن "يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ" (لا ٢٠: ١٠ - ١٦). وعن مثل هذه الوصية تكلم الكتبة والفريسيون مع السيد المسيح عن المرأة الزانية قائلين له: "وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ" (يو ٨: ٥).

وكسر الوصية السادسة: "لَا تَقْتُلْ" كانت عقوبته القتل أيضاً، سواء كان قتلاً بغدر (خر ٢١: ١٤)، أو كان ضرباً أفضى إلى الموت (خر ٢١: ١٢)، أو كان قتلاً غير مباشر: كأن يترك إنسان ثوره النطاح طليقاً فيقتل إنساناً "فَالثَّوْرُ يُرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يُقْتَلُ" (خر ٢١: ٢٩).

ومن يكسر الوصية الخامسة كانت عقوبته القتل أيضاً. وهكذا قالت الشريعة: "مَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا... وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا" (خر ٢١: ١٥، ١٧).

وكسر الوصية الرابعة الخاصة بحفظ السبت كانت عقوبته القتل أيضاً. وفي ذلك تقول الشريعة: "كُلُّ مَنْ صَنَعَ عَمَلًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ يُقْتَلُ قَتْلًا" (خر ٣١: ١٥).

وكسر الوصية الثالثة بالتجديف على اسم الرب كانت عقوبته القتل أيضاً. وفي ذلك تقول الشريعة: "وَمَنْ جَدَّفَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ... يَرْجُمُهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ رَجْمًا. الْغَرِيبُ كَالْوَطَنِيِّ عِنْدَمَا يُجَدِّفُ عَلَى الْاسْمِ يُقْتَلُ" (لا ٢٤: ١٦). وقد حُكِمَ على نابوت اليزرعيلي بالموت نتيجة لهذه التهمة التي اتهم بها ظلمًا (١ مل ٢١: ١٣). وبهذه التهمة حُكِمَ قيافا على السيد المسيح ظلماً بالموت وشقّ ثيابه قائلاً: "قَدْ جَدَّفْتُ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟" (مت ٢٦: ٦٥).

وكسر الوصيتين الأولى والثانية الخاصتين بعبادة الله وحده، كانت عقوبته الموت.

فكان الله يأمر بقتل الوثنيين وإبادتهم. وكان يأمر بقتل من يذبح لآلهة غير الرب وحده (خر ٢٢: ٢٠). وقد قتل إيليا النبي جميع أنبياء البعل (١مل ١٨: ٤٠). وكل من كان يزيغ إنساناً عن عبادة الله كان يُقتل (تث ١٣: ٥، ٩، ١٥). حتى إن كانت مدينة كانت تقتل بأثرها وفي ذلك يقول الكتاب: "فَصَرْبًا تَضْرِبُ سَكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتَحْرِمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلُّ أُمَّتِيعَتِهَا إِلَى وَسْطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرَقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ أُمَّتِيعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، فَتَكُونُ تَلًّا إِلَى الْأَبَدِ لَا تُبْنَى بَعْدُ" (تث ١٣: ١٥، ١٦).

وكما كانت تباد الوثنية في القديم، كان يباد أيضًا ناشروها ومشعوذوها كالسحرة والعرافين. ومن أمثلة ذلك يقول الرب: "لَا تَدْعُ سَاحِرَةً تَعِيشُ" (خر ٢٢: ١٨) ويقول أيضًا: "إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ" (لا ٢٠: ٢٧).

ومن أحكام القتل أيضًا، كان يحكم بالقتل على من يسرق إنسانًا ويبيعه. (خر ٢١: ١٦).

كان قتل أولئك الخطاة جميعاً ليس شرّاً على الإطلاق، ولا يدخل في نطاق الوصية السادسة. بل كانت مخالفة الأوامر في إبادة هؤلاء الأشرار هي الخطيئة التي تغضب الله.

ونقول هذا بالنسبة إلى العهد القديم حينما كانت الوثنية والشر خطراً يهدد الإيمان بالفناء. أما في المسيحية فلم يعد أحد من كل هؤلاء يُقتل أو يُرجم. ما عدا القاتل الذي ما يزال يطارده قول السيد المسيح نفسه: "الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (مت ٢٦: ٥٢).

حق الله في القتل...

إذا وصية لا تقتل لا تعني أن الله قد حرّم القتل عمومًا. فبالإضافة إلى أمره بقتل الخطاة الذين ذكرناهم، كان يأمر أيضًا بإبادة الشعوب الوثنية لئلا تؤثر على الدين ذاته. كما كان يسمح بالحروب لإبادة هؤلاء الوثنيين. وكان يصرح بالقتل في تلك الحروب على شرط أن تكون بأمر من الله نفسه. فإذا دخلوا في حرب بمشيئتهم الخاصة دون أمر من الله ودون توجيه منه، فإن تلك الحروب لا تكون حسب مشيئة الله.

والحكمة في ذلك أن الله هو صاحب الأرواح جميعاً، ومن حقه أن ينهي حياة الناس في أي وقت يشاء، وبأي طريقة يشاء. فإذا شاء أن تنتهي حياتهم بموت طبيعي، أو بمرض، أو بنار ينزلها من السماء، أو بطوفان، أو بأن يقتلوا بأيدي أعدائهم، فهو حرّ ينهي حياة الناس كيفما شاء بالطريقة التي يريدّها هو.

حقّ الدولة في القتل...

إذاً وصية "لَا تَقْتُلْ" كانت وصية للمعاملات الفردية، ولكن جماعة المؤمنين عموماً وقت ذاك، أو الدولة حالياً كدولة، لها الحق أن تقتل في نطاق القانون. فإذا وجد شخص مجرم، من حق الدولة أن تحكم عليه بالإعدام وتقتله، ولا تكون بفعلها هذا قد كسرت الوصية السادسة. لأن الله يأمر بقتل القاتل إذ قال: "سَافِكُ دَمِ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ يُسْفِكُ دَمَهُ" (تك ٩: ٦). وقد قال السيد المسيح لبطرس "رَدَّ سَيْفَكَ إِلَى مَكَانِهِ. لِأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ السَّيْفَ بِالسَّيْفِ يَهْلِكُونَ" (مت ٢٦: ٥٢). فعندما يُقتل أمثال هؤلاء السفاحون لا يكون هذا القتل منافياً للوصية السادسة بل هو تنفيذ لأمر الله فيهم. وفي ذلك صرح بولس الرسول بأن السلطان: "لَا يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا" (رو ١٣: ٤). "إِذْ هُوَ خَادِمُ اللَّهِ، مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ".

هذا نقوله عن حق الدولة أو حق السلطان. ولكن هذا الكلام لا يصلح للمعاملات الفردية.

قتل الحيوانات والحشرات...

إن بعضاً من الحساسين جداً كانوا ينفذون وصية "لَا تَقْتُلْ" حتى بالنسبة للحشرات والحيوانات!! وحتى الآن نجد أن كثيراً من البراهميين في الهند يتأذى ضميرهم إذا داسوا على حشرة في الطريق فماتت.

لكن وصية "لَا تَقْتُلْ" لا تعني الحشرات. لأن هناك حشرات ضارة يمكن أن تقتل الإنسان كالحيات والعقارب التي أعطانا الرب سلطاناً أن ندوسها. وهناك حشرات يمكن أن تقتل ما يعتمد عليه الإنسان في معيشته مثل دودة القطن مثلاً. وحياة الإنسان أهم عند الله والناس من حياة الحشرات. لذلك ليس حقاً فقط بل هو واجب أن نقتل الحشرات إنقاذاً لحياة الإنسان الذي هو صورة الله.

لا يصح أن يتأذى أحد إذا قتل حشرة من الحشرات بل إنه في بعض المؤسسات الصحية لافتات يُكتب فيها اقتلوا الذباب قبل أن يقتلكم. فالحشرات ليست حياتها أهم من حياة الإنسان الذي خلق على صورة الله والذي مات السيد المسيح عنه.

يمكننا إذاً أن نقتل الحشرات والحيوانات المفترسة، ليس فقط بسبب أذيتها، وإنما أيضاً في محيط التجارب العلمية. وفي كليات الطب والصيدلة والعلوم يقومون بتشريح الضفادع والأرانب وغيرها من الكائنات الحية لأسباب علمية نافعة للبشرية، ولا يكون في ذلك شيء من الخطأ. وبالإضافة إلى اتقاء أذية الحيوان، وإلى الانتفاع به علمياً، يمكننا ذبح الحيوانات لأجل أكلها. وقد صرح الرب بهذا بعد الطوفان فقال: "كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ..." (تك ٩: ٣).

الرفق بالحيوان...

ولكني أحب أن أضع أمامكم تحذيراً خاصاً فعلى الرغم من أن الله أعطانا سلطاناً على الحيوانات، وعلى الرغم من أنه صرح لنا بقتلها لاتقاء أذيتها ولأسباب العلمية وللطعام، إلا أنه من الخطأ طبعاً أن نستخدم هذا السلطان بطريقة منحرفة، فلا يصح أن نقتل الحيوانات بدون داعٍ لذلك، وبخاصة إن كانت من الحيوانات الأليفة الهادئة، كإنسان يعذب حيواناً بدون داعٍ، ويدل بهذا على قساوة قلبه وعدم رحمته، أو كولد صغير يمسك بقطعة أليفة ويلهو بها بطريقة فيها شيء من التعذيب. كل هذا خطأ لأنه بدون مبرر يريح الضمير. وبدون داعٍ ملزم.

لذلك وجدت جمعيات الرفق بالحيوان التي تدعو إلى الشفقة على الحيوانات وإلى العناية بها في مرضها وتعبها. بل وجدت كلية خاصة بالطب البيطري في جامعاتنا لمعالجة الحيوانات وإنقاذها من المرض والموت والعناية بها من كل ناحية.

والله نفسه يريدنا أن نهتم بالحيوانات ونرحمها. والشخص الذي يشفق على الحيوان فلا يؤذيه، بالحري جداً يشفق على الإنسان فلا يؤذيه. إن الشخص الذي له حساسية ورأفة في قلبه، لا تسمح له عاطفته أن يؤذي إنساناً أو حيواناً. ما أجمل قول الكتاب: "الصَّدِيقُ يُرَاعِي نَفْسَ بَهِيمَتِهِ" (أم ١٢: ١٠).

وهناك وصايا كثيرة من أجل العناية بالحيوانات...

ففي سفر التثنية (٢٢: ١٠) قال الرب: "لَا تَحْرُثْ عَلَى ثَوْرٍ وَحِمَارٍ مَعًا" وكان يقصد بهذا الرفق بالحمار الذي لا يحتمل أن يجاري قوة الثور. وفي وسط تمسك الفريسيين بحفظ السبت صرح بأنه إذا سقط لإنسان خروف في السبت في حفرة، أَمَا يُمَسِّكُهُ وَيُقِيمُهُ؟ (مت ١٢: ١١). وظهر رفق أبينا يعقوب بغنمه وبقرة فأمر ألا يَسْتَكْدُوها في الطريق (تك ٣٣: ١٣). وقد قال الرب أيضًا: "لَا تَكْمُ ثَوْرًا دَارِسًا" (تث ٢٥: ٤) (اتي ٥: ١٨) (كو ٩: ٩).

ومن أمثلة رفق ربنا يسوع المسيح بالحيوان سفره إلى اورشليم على أتان وجحش ابن أتان لكي يريح كلاً منهما فترة في الطريق أثناء ركوبه للحيوان الآخر.

هذا هو إلهنا الشفوق الذي يعطي طيور السماء طعامها دون أن تجمع ولا تحصد (مت ٦: ٢٦). وأيضًا "الْمُعْطِي لِلْبَهَائِمِ طَعَامَهَا وَلِفَرَاحِ الْغُرَبَانِ الَّتِي تَدْعُوهُ" (مز ١٤٧: ٩) هذه الطيور التي لا يسقط واحد منها دون إذنه (مت ١٠: ٢٩).

ومن شفقة الله على الحيوانات أنه أمر بإراحتها في يوم السبت فقال: "لَا تَعْمَلْ فِيهِ عَمَلًا مَّا أَنْتَ... وَثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ وَكُلُّ بَهَائِمِكَ" (تث ٥: ١٤). وهكذا ينبغي أن تريح حيوانك حتى لا تقتله بكثرة العمل وعدم الراحة. فإذا قتلته، تخسر أنت، وتدل بهذا على أنك شخص بعيد عن الرحمة.

إذا وصية "لَا تَقْتُلْ" إذا طبقت من جهة الحيوانات والحشرات ينبغي أن يكون ذلك بحكمة.

الفصل الثاني أهمية هذه الوصية

كل خطية نخطئ بها إلى إنسان، إنما نسيء بها إليه في شيء معين منه. أما بالقتل فنقضي على الإنسان كله وننهي حياته الأرضية. إنها خطيئة تمس حياة الإنسان نفسه. وخطورتها أن حياة الإنسان ليست ملكه، وإنما ملك الله، وهو الذي بيده المصائر. ولا يستطيع إنسان أن يأخذ موضع الله ويتصرف في مصائر الناس. ويمسك بيده مفاتيح الحياة والموت.

وأيضًا خطيئة القتل لها خطورتها لأنها عمل لا يمكن أن يعالج ولا يمكن أن يرد. من الجائز أن تعوض إنسانًا عن خسائر سببتها له، ومن الجائز أن تعتذر إلى إنسان عن إهانة جرحته بها، ويمكنك أن ترد إليه كرامته واعتباره. أما قتل الإنسان فلا يمكن أن يعالج. ولا تستطيع أن ترد إليه الحياة التي سلبتها منه.

وتزداد الخطية خطورة إذا قتلت إنسانًا فأنتهيت حياته قبل أن يتوب، ولم تعد له فرصة يستعد فيها لأبديته. فتكون قد قتلت روحًا وجسدًا، الآن وإلى الأبد، وألقيت به إلى الجحيم... أي شر هذا...؟!

يضاف إلى هذا أن القاتل في نفس الوقت يكون قد قتل نفسه شخصيًا لارتكاب خطية تؤدي إلى هلاكه هو.

هذا عن قتل الخطاة. أما قتل شخص بار فإنه خطر أيضًا جدًّا، لأن معناه منع النفع الذي كان يأتي منه كعضو في المجتمع. لذلك كلما كان المقتول نافعًا، زادت المسؤولية فيه. فقتل إنسان هو جريمة. وحرمان المجتمع من نفع عام يصدر عن شخص بار، هو جريمة أخرى غير جريمة القتل تتسع بقدر عدد المنتفعين منه، وبقدر عمق الفائدة التي تصدر عنه.

لذلك كان قتل الأنبياء والمرسلين هو جريمة كبيرة، وهكذا وبخ السيد المسيح أورشليم "قَاتِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةُ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا" "قَاتِلًا لِأَهْلِهَا: "يَأْتِي عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سَفَكَ عَلَى الْأَرْضِ، مِنْ دَمِ

هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ" (مت ٢٣: ٣٧، ٣٥). إن عبارة "كل دم ذكي" تظهر لنا خطورة سفك الدم الذكي.

عندما قُتِلَ هابيل البار، قال الرب لقائين: "صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِحٌ إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ" (تك ٤: ١٠). إن هابيل لم يشتك، ولكن العدل الإلهي وقف يطلب حقوقه. لأن الله لا يترك دمًا يسفك دون أن ينتقم له.

ما أعجب الرب الإله! لم ينتقم لدم هابيل البار، بل حتى لدم قايين الشرير القاتل. فعندما قال له قايين: "إِنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَخْتَفِي وَأَكُونُ تَائِهًا وَهَارِبًا فِي الْأَرْضِ، فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي"، قال له الرب: "لِذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةٌ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ". وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ عَلَامَةً لِكَيْ لَا يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ" (تك ٤: ١٤، ١٥). نقول هذا لئلا يظن البعض أنه إذا قتل إنسان شريرًا فلا خطيئة عليه!!

كلا، فالقتل عمومًا خطيئة خطيرة سواء أكان المقتول بارًا أم شريرًا. ولكن قتل البار أقطع وأشنع إذ لا يوجد سبب لقتله وفيه تنضم إلى خطيئة القتل خطيئة الظلم، وخطيئة حرمان المجتمع من نفع هذا البار، وخطيئة عدم احترام القديسين وعدم الخوف من إلههم...

إن الله لا يترك الدم بدون نقمة. حتى الأبرار الذين قتلوا غيرهم، الرب انتقم منهم. داود النبي لم يعفه الرب من عقوبة جريمة القتل، فمنعه من بناء الهيكل. ولم يسمح له بذلك الشرف العظيم، لأن يديه تلوثتا بالدم من قبل. وقد ذكر داود هذا الأمر عندما قال: "فَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ قَائِلًا: قَدْ سَفَكْتَ دَمًا كَثِيرًا وَعَمِلْتَ حُرُوبًا عَظِيمَةً، فَلَا تَبْنِي بَيْتًا لِاسْمِي لِأَنَّكَ سَفَكْتَ دَمًا كَثِيرًا عَلَى الْأَرْضِ أَمَامِي" (١١ أخ ٢٢: ٨).

هكذا فعل الرب مع داود الذي كان يحبه الرب والذي قال عنه: "وَجَدْتُ دَاوُدَ... رَجُلًا حَسَبَ قَلْبِي" (أع ١٣: ٢٢)، والذي كان يتشفع به سليمان قائلاً: "مِنْ أَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِكَ، لَا تَرُدَّ وَجْهَكَ عَنْ مَسِيحِكَ" (مز ١٣٢: ١٠)، والذي من أجله كان يصنع الرب مراحم كثيرة قائلاً في كل منها: "من أجل داود عبدي". ولكنه بسبب الدم مُنِعَ من بناء الهيكل، وبناء سليمان الذي كان عهده عهد سلام.

ولم يكتف الرب بهذا وإنما جعل الدم أيضاً في بيت داود، وقامت بينه وبين ابنه أبشالوم حرب كبيرة سفكت فيها دماء كثيرة.

إن الله ينتقم للمقتولين. لذلك فالذين ينتقمون لقتلهم إنما هم يتعجلون الأمور ويضعون على أنفسهم ثقالاً لا داع له. "لِي النِّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ" (رو ١٢ : ١٩). فالله لا يترك دم القتل بدون انتقام. حتى الشهداء وعدهم الله بأنه سينتقم لدمائهم عندما يكمل إخوتهم الذين على الأرض جهادهم (رؤ ٦ : ١١)...

هناك أشخاص مساكين يحاولون أن يبرروا ذاتهم من الدم الذي يلاحقهم! مثل بيلاطس الذي ظل يغسل يديه دون أن يترك الدم يديه. مهما حاول تبرير ذاته قائلاً: "إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا النَّبِيِّ" (مت ٢٧ : ٢٤) فإن دم ذلك البار ظل لاصقاً به إلى الأبد.

الفصل الثالث أنواع من القتل

وصية "لَا تَقْتُلْ" وصية لها تفاصيل كثيرة، فعندما يقول الله لا تقتل يقصد: لا تقتل غيرك، وأيضًا لا تقتل نفسك. فينطبق على النفس ما ينطبق على الغير. ويقصد أيضًا كل نوع من أنواع القتل.

فإن كانت كل خطية يمكن أن تكون خطيئة بالعمل، أو خطيئة بالفكر، أو بالحس، أو بالقول... فيمكن أن ينطبق هذا أيضًا على خطيئة القتل. فهناك قتل بالفكر، وهناك قتل بالنية، برغبة القلب من الداخل. وفي هذا نرى التشريع الإلهي أوسع بكثير من التشريعات المدنية، فالقانون الجنائي يعاقب على القتل بالفعل أو على الشروع الفعلي في القتل، ولكنه لا يمكن أن يعاقب على فكرة في العقل أو نية في القلب. مثل هذا الإنسان لا يمكن أن تحاكمه محكمة في العالم، لكن يحاكمه الله. هناك أيضًا قتل جزئي وقتل كلي. وهناك قتل جسدي وقتل آخر للمعنويات، وقتل أدبي للسمعة... إلخ. وهناك قتل مباشر وقتل غير مباشر... وهناك قتل تقع فيه المسؤولية على شخص واحد وقتل آخر بالاشتراك.

وهناك قتل للروح يقذف بالروح إلى جهنم، وإن بدا الجسد سليمًا لم ينله ضرر...

الحرب والقتل

هل الحرب تدخل في نطاق الوصية السادسة التي تقول: "لَا تَقْتُلْ"؟

نجيب على هذا بأنه إذا كان قتل الفرد أمرًا ينهي عنه الله، فمن باب أولى ينهي الله عن قتل المجموعات المتعددة...

وهكذا تكون الأسلحة المدمرة المخربة هي أسلحة ضد الوصية السادسة. إنه لمن المخجل حقًا أن يستخدم الإنسان مواهبه وعلمه وعقله وذكائه في التخريب وفي القتل والإيذاء، بينما أن ملايين الملايين من الجنيئات التي تنفق على الحروب لو صرفت في نفع البشرية لأتت بخير كثير!

وإن كانت الحرب شرًا، ولا يوافق عليها الله إلا إن كانت بأمره أو بإذنه أو بإرشاده. فمن باب أولى الحرب العدوانية التي يظهر فيها جانب الاعتداء والظلم.

إن الله يسمح أن يدافع الإنسان عن نفسه. فالحرب إذا كانت دفاعاً عن النفس. أو حماية لصالح المجموعة، فإن الله يوافق عليها بالنسبة للمجموعة لحماية الأفراد. وإن كانت في حد ذاتها مكروهة عموماً عند الله الذي يريد أن تنتشر المحبة والسلام بين الناس.

أما الحرب العدوانية فتدخل ولا شك في نطاق الوصية السادسة "لَا تَقْتُلْ". ولذلك فإنه بعد الحرب العالمية الثانية أقيمت محاكم دولية لمحاكمة "مجرمي الحرب". لأنهم رأوا أن بعض القادة كانوا مجرمين في حق البشرية جميعاً. لمسئوليتهم عن تلك الحرب التي تسببوا بها في قتل وتشويه وتشريد عدد كبير من الناس بدون مبرر وبدون داع وقد قال الله: "لَا تَقْتُلْ".

لذلك كله وضعت الدول قوانيناً للحرب للحد من خطورة قتل الأنفس فيها، وللتخفيف من الوحشية والبشاعة في الحروب. فهناك قوانين لمنع أسلحة معينة قاتلة أو مشوهة أو مدمرة، ولا يتفق استعمالها مع روح الإنسانية. وقوانين أخرى لمنع الاعتداء على المستشفيات وعلى المدنيين والمؤسسات الإنسانية وحفظ وتنظيم ما يتعلق بأسرى الحرب غير المقاتلين. وكذلك لا تبيح الإنسانية في الحروب التعرض للأطفال والنساء ودور العبادة والكهنة والرهبان والمرضى والكهول. كل ذلك لمجرد التخفيف من ويلات الحرب التي هي عملية قتل جماعية يتفق الجميع على الرغبة في التخلص منها.

ويمكن أن ندخل في نطاق الحروب ما يدخل في بعض البلاد تحت عنوان المبارزة، وقد كانت منتشرة في العصور الوسطى وإلى عهد قريب في بعض البلاد، إذ يقف اثنان متنافسان للمبارزة بالسيف أو المسدسات. وغالباً ما يموت أحد المتبارزين، يقتله زميله الآخر، بشهادة حكم بينهما. والعجيب أن هذا القاتل ينظر إليه المجتمع كرجل شريف قوي محترم ومهاب من الجميع!! وهو في حقيقة الأمر مجرم سافك لدم أخيه، قد كسر علانية وبشهادة شهود الوصية السادسة.

القتل بالتعقيم...

إن التعقيم هو عملية يقصد بها إصابة الإنسان بالعقم ليُمنع من الإنجاب في المستقبل وتحمل ضمناً إنهاء لتناسله. وقد استخدمت في بعض الأوقات ضد الزوج والعبيد في بعض البلاد لإبادتهم. ولا شك أن ذلك كان في صميمه عملية قتل جماعية لإبادة جنس معين.

وأحياناً يستخدم الإخصاء بدلاً من التعقيم ويؤدي إلى نفس النتيجة.

وهذه ناحية من نواحي استبداد الشعوب المتقدمة بالأجناس غير المتقدمة. والعمل على إفناء تلك الأجناس بالحروب أو بالقتل أو بالتعقيم أو بالإخصاء. وكل ذلك يدخل في نطاق الوصية السادسة. ونحن نعلم أن الجنس الأسترالي الأصلي مثلاً قد أُميد تماماً من العالم في أواخر القرن الماضي.

الإجهاض

إن الإجهاض هو عملية قتل جنين، لمخلوق حيّ وإن كان لم يولد بعد، ولكنه نفس لا نملك حق التصرف فيها.

والإجهاض على نوعين: نوع مقصود، ونوع غير مقصود.

أما النوع المقصود فهو أن تتعمد امرأة أو يتعمد أهلها أو أصحابها إسقاط الجنين من بطنها. وقد يكون ذلك بطرق طبية يتحمل فيها الطبيب جزءاً من المسؤولية، ويعتبر شريكاً أساسياً في هذا القتل. أو قد يكون الإجهاض بطرق أخرى خاصة تعرفها النساء. وفي هذا النوع تكون المسؤولية على المرأة واضحة.

على أن الهدف من إسقاط الجنين قد يحدد مقدار المسؤولية فربما يكون الإجهاض خطية لستر خطية أخرى. وقد يظن المشتركون فيه أنهم فعلوا خيراً لمنع فضيحة، ولكنهم في الحقيقة قد اشتركوا في جريمة قتل. وقد يكون سبب الإجهاض هو عدم رغبة المرأة في النسل وهذا لا يعفيها من وزر القتل.

أو قد يكون سبب الإجهاض هو الخوف على صحة الأم إذا كانت الولادة تهدد حياتها بالموت. ويرى الأطباء أن إنقاذ الأم يستلزم تضحية معينة يفترض فيها هذا الجنين ولذلك يبررون هذا الإجهاض بأنه نفس تموت عن نفس. والمسألة موضع بحث في توضيح مدى المسؤولية.

أما النوع غير المقصود فهو أن الأم تهمل إهمالاً يؤدي إلى قتل الجنين. إذ قد تجهد نفسها فوق طاقتها ويؤدي الإجهاد إلى إجهاض فتسقط ما في بطنها.

وقد يشترك في مسؤولية هذا النوع من الإجهاض أو من الإسقاط صاحب العمل الذي يرهق موظفة أو عاملة حامل غير مراعى ما تستلزمه صحتها في شهور الحمل. فإذا أدى هذا الإرهاق

المفروض عليها من صاحب العمل إلى إسقاط جنينها، فإنه لا ينجو من مسئولية عمله، ويدخل في نطاق الوصية السادسة.

وقد تقع هذه المسئولية في الإسقاط على الزوج إذا لم يبال بصحة زوجته الحامل وتسبب في إسقاطها.

القتل بالنية والفكر

قد لا يقتل شخص إنساناً آخر قتلاً فعلياً، ولكنه يقتله بالفكر، فيجلس ليفكر كيف يمكنه أن يميت هذا الإنسان ويتخيل موته على يديه، أو تحريضه لأناس آخرين ليقتلوه. وينتهي بتفكيره إلى أن يراه بالخيال مقتولاً أمامه، فيستريح لذلك ويبتهج. هذا قتل بالفكر له مسئوليته الروحية، كالزنى بالفكر والسرقة بالفكر إلخ...

والإنسان يحاسب على هذا النوع من القتل بالفكر، حتى لو كان صاحبه لا يعزم إطلاقاً بأية صورة أن يقتل هذا الشخص بالفعل. وإنما على الأقل هذا الأمر يتنافى مع المحبة ومع المغفرة ومع طلب الخير للآخرين. وقد لا يفكر إنسان في قتل أخيه الإنسان، ولكنه مع ذلك يتمنى موته أو يفرح عند موته. فهو يشتهي له الموت سواء بواسطته أو بواسطة غيره، أو أن يطلب أن يقوم له الرب بهذا العمل. وفي هذا كله يكون قد أخطأ بالنية وبالقلب.

ويدخل في هذا النوع من القتل البغضة. وفي ذلك يقول معلمنا يوحنا الرسول: "كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ" (١يو ٣: ١٥). أنجرؤ بعد هذا أن نقول إن الوصية السادسة بعيدة عن مجالنا، وأنها خاصة فقط بالسفاحين وبالقتلة؟!

ونرى أن السيد الرب ادخل الغضب في مجال هذه الخطية فقال في عظته على الجبل: "قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضِبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ" (مت ٥: ٢١، ٢٢).

على أية الحالات إن الغضب والبغضة هما من النواحي السلبية. وتتمادى وصية لا تقتل في الناحية الإيجابية، حتى تصل بك إلى المحبة. وإذا أحببت أخاك، لا يمكن أن تقتله أو تفكر في قتله. أو حتى في إيذائه والإضرار به...

القتل المعنوي

ليس القتل قاصراً فقط على الجسد، بل هناك قتل معنوي ينصب على شخصية الإنسان، وهو على أنواع:

فمثلاً عمليات التشهير، وإضاعة سمعة الإنسان وقيمه الأدبية ومركزه الاجتماعي وسط الناس، كل هذه يمكن أن نسميها بالقتل الأدبي.

فإذا تناولت شخصية إنسان، وشرحته تشريحاً بطريقة علنية، بحيث يسقط من عيون الناس، تكون ولا شك قد قتلتها أدبياً، وحتى في التعبير الدارج يستخدم هذا المعنى، فيقال عن شخص ما: "ده انتهى خلاص، فلان حطمه، مسحه، لا يمكن أن تقوم له قائمة بعد الآن"... ويمكن أن يدخل في هذا النطاق النقد الجارح القاسي...

نقطة أخرى، هي قتل الشخصية: يمكن لأب قاس أن يلغي شخصية ابنه، أو يحطم شخصيته بحيث ينشأ معدوم الشخصية لا يستطيع أن يتصرف في شيء. ومثل هذا التصرف قد يفعله زوج مستبد مع امرأته، أو رئيس عمل مع مرؤوسيه.

يحدث ذلك عن طريق سوء المعاملة، أو تثبيط الهمة باستمرار، أو إشعار الإنسان في كل مجال أنه عاجز وفاشل ولا يصلح لشيء، وعدم إعطائه فرصة لإنماء شخصيته وتحطيم معنوياته حتى يفشل ويخور. كل هذا قتل معنوي...

القتل الجزئي

في هذا النطاق يدخل الاعتداء الجسدي، والضرب، والإيذاء، والتعذيب، والتشويه.

فمن الجائز أن إنساناً يعتدي على آخر فيحدث به عاهة مستديمة: يفقده عيناً، أو يكسر له رجلاً، أو يشوه وجهه... إلخ. كل هذا يدخل في نطاق القتل الجزئي، لأن جزءاً من الإنسان قد تم قتله فعلاً.

والضرب عموماً يدخل في نطاق الوصية السادسة. وفي الصعيد نجد عبارة: "فلان قتلني" معناها (ضربني). وحتى في اللغة العربية نقول: "تقاتل فلان وفلان" بمعنى تضاربا أو تحاربا... فالضرب

يدخل في هذه الوصية، سواء أكان ضرباً شديداً أفضى إلى قتل، أو إلى عاهة، أو مجرد ضرب...
والكتاب المقدس يمنع أمثال هذا الضرب...

وإن تدرجنا بهذه الوصية تدرجاً طبيعياً في هذا المجال، نصل إلى أن كل اعتداء وكل إيذاء يدخل
في نطاق الوصية السادسة. حتى لو كان مجرد جرح لشعور... ولعله من أجل هذا نجد أن السيد
المسيح في العظة على الجبل، عندما عرض لوصية "لَا تَقْتُلْ"، ادخل في أحكامها "مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ:
رَقًا"، "وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ" (مت ٥: ٢٢).

وعملياً إن من يعكر دم إنسان بإهانة، يحدث فيه قتلاً جزئياً عن طريق عمليات هدم خلايا
وكرات دموية داخل جسده...

الفصل الرابع القتل غير المباشر

قتل الأعصاب

يوجد قتل غير مباشر، مثل قتل الأعصاب، أو الإغاضة، كأن تتعب شخصاً مثلاً وتشيره، حتى لا تقوى أعصابه على الاحتمال فيثور، أو يغلي في داخل نفسه، وتظل الأفكار تتعبه من الداخل، والحزن والألم والغضب يعكر دمه. وربما يمرض. ومن الجائز ضغطه يرتفع، أو يصاب بذبحة صدرية أو أي مرض آخر، وربما يلزم الفراش ويموت. نتيجة لما فعلته أنت فيه. وقد تصلي أنت عليه! أو تمشي في جنازته. وتعزي فيه! وتكون أنت قاتله بالحقيقة، ولا تكون مطلقاً بريئاً من دمه...

هل تظن القتل يا أخي معناه أن تطعن إنساناً بسكين أو تضربه بالرصاص أو ما شاكل ذلك؟! كلا، ما أسهل أن تقول له كلمة موجعة، أو تحطم نفسه بتصرف ما فيه احتقار أو امتهان، أو بعمل فيه إهانة أو إذلال... وبعد ذلك يرجع إلى بيته بنفسية منزعة، ويكون تصرفك كسم قاتل داخل نفسه... قد لا يقتله في حينه، إنما بعد حين. هذا قتل تدريجي بطيء، غير ظاهر. ولكنه ظاهر أمام الله. وهذا أيضاً يدخل في الوصية السادسة. لأن الكلمة الموجعة أو عبارة التحقير أو الإغاضة، تعمل من الناحية العلمية البحتة عملية هدم في الجسد، قتل جزئي.

ابحث أيها الأخ في داخل نفسك، كم شخصاً قتلته جزئياً من هذا النوع! كم إنساناً تناولته بالإغاضة أو الاستهزاء أو التهكم، أو جعلته مجالاً لضحكك، ومجالاً لتدرك وفكاهاتك؟ كم شخصاً تعكر دمه من تصرفك؟ أو تغير لونه أثناء الحديث معك. كل هؤلاء تطاردك بسببهم الوصية السادسة...

ومن الآيات الواضحة التي تدل على أن الكلام الجارح يدخل في نطاق الوصية السادسة، قول الكتاب: "لِسَانُهُمْ سَهْمٌ قَتَالٌ" (إر ٩: ٨) وأيضاً قوله: "الَّذِينَ مِنَ الرِّبَا كَلِمَاتُهُ، وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُوءَةٌ" (مز ٥٥: ٢١).

يدخل في هذا النوع من القتل الظلم الذي يوقعه شخص بآخر، ناسياً أن "الرب يحكم للمظلومين". ويدخل فيه أيضاً نواحي القسوة التي يعامل بها غيره...
على الأقل في الظلم والقسوة قتل لمعنويات الإنسان، بالإضافة إلى ما فيهما من قتل لنفسيته ومثالياته.

قتل الأجراء

يدخل في الوصية السادسة أيضاً ذلك الشخص الغني الذي يستخدم عمالاً بأجر بخس زهيد لا يكفي لقوتهم الضروري. مثل هذا الشخص يقتل الذين يخدمونه، إذ يعرف أن الأجر لا يكفيهم. ويعرف أنهم بمثل هذا الأجر يموتون جوعاً أو يمرضون بالسل أو بالأنيميا، ومع ذلك فهو لا يحن ولا يشفق.

يقول الكتاب: "هُوَذَا أُجْرَةُ الْفَعْلَةِ الَّذِينَ حَصَدُوا حُقُولَكُمْ، الْمُبْخُوسَةُ مِنْكُمْ تَصْرُخُ، وَصِيَاخُ الْحَصَادِينَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أُذُنِي رَبِّ الْجُنُودِ" (يع ٥: ٤).

إن العامل أو المروءوس الذي ترفض أن تعطيه حقوقه، أو تؤخر أجرته، أو تلغي علاوته أو ترفيته، أو مكافأته، وبهذا تتركه في حالة من الفقر أو الاحتياج بالنسبة إلى ضروريات معيشته إنما بهذا تقتله قتلاً غير مباشر، والله يطالبك بدمه.

ولذلك فإن الكتاب المقدس ينحي باللائمة على من يؤخر أجره الأجير قائلاً: "لَا تَبْتَ أَجْرَةَ أَجِيرٍ عِنْدَكَ إِلَى الْغَدِ" (لا ١٩: ١٣) وقال أيضاً: "لَا تَظْلِمَ أَجِيرًا مَسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ فِي أَرْضِكَ، فِي أَبْوَابِكَ. فِي يَوْمِهِ تُعْطِيهِ أَجْرَتَهُ، وَلَا تَغْرُبْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ، لِأَنَّهُ فَقِيرٌ وَإِلَيْهَا حَامِلٌ نَفْسَهُ، لِئَلَّا يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ فَتَكُونَ عَلَيْكَ حَطِيئَةً" (تث ٢٤: ١٤، ١٥).

وهكذا نرى أيضاً أن قطع رزق أي إنسان بدون سبب خطير ملزم، هو جريمة قتل غير مباشر، وكذلك منع الرزق عن أي إنسان لم يتوظف بعد، إنما هو سدّ لأبواب الحياة في وجهه. هذا أيضاً يدخل في نطاق الوصية السادسة. لأن الذي تحرمه الرزق إنما تمنع عنه العيش وهذا قتل لجسده، أو تدفعه إلى الجريمة وهذا قتل لروحه. أو إلى الموت وهذا قتل لجسده أيضاً.

القرض والربا والرهن

هناك نوع آخر من القتل غير المباشر، وهو سلب ضروريات الإنسان التي لا غنى عنها لحياته. مثل هذه الأمور لم تجز الشريعة أن يأخذها الإنسان رهناً لديه.

فبعد أن يحرم الله أخذ ربا من فقير، يقول أيضاً: "إِنْ ارْتَهَنْتَ ثَوْبَ صَاحِبِكَ فَإِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ تَرُدُّهُ لَهُ، لِأَنَّهُ وَحْدَهُ غِطَاؤُهُ، هُوَ ثَوْبُهُ لِجُلْدِهِ، فِي مَاذَا يَنَامُ؟ فَيَكُونُ إِذَا صَرَخَ إِلَيَّ أَنِّي أَسْمَعُ، لِأَنِّي رَوُوفٌ" (خر ٢٢: ٢٥ - ٢٧). وفي ذلك يقول أيضاً: "لَا تَسْتَرْهِنُ ثَوْبَ الْأَرْمَلَةِ" (تث ٢٤: ١٧).

ومن جهة هذه الضروريات يقول أيضاً: "لَا يَسْتَرْهِنُ أَحَدٌ رَحَى أَوْ مِرْدَاتَهَا، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَرْهِنُ حَيَاةً" (تث ٢٤: ٦)، وفي عبارة: "يَسْتَرْهِنُ حَيَاةً" دليل أكيد على أن هذا الأمر يدخل في نطاق الوصية السادسة.

لذلك لا يصح مطلقاً أن يرتهن شخص أدوات أو معدات لعامل، لأنه بهذا يقطع عنه مصدر رزقه ويستترهن حياة.

الامتناع عن الإغاثة

ليس القتل هو مجرد أن تقوم بنفسك بإنهاء حياة إنسان، وإنما إن تعرض إنسان للموت ولم تنقذه - حين كان بإمكانك إنقاذه - فأنت إذاً مشترك في موته وداخل نطاق الوصية السادسة. ما أجمل قول الكتاب عندما يقول في مثل هذا المجال: "مَنْ يَسُدُّ أُذُنَيْهِ عَنْ صُرَاخِ الْمُسْكِينِ، فَهُوَ أَيْضًا يَصْرُخُ وَلَا يُسْتَجَابُ" (أم ٢١: ١٣).

عندما تسمع مثلاً عن دول غنية جداً في العالم لها محاصيل من القمح فائضة بوفرة عن احتياجها، ومع ذلك تهمل دولة كالهند نقرأ في الجرائد أن بعضاً من أهلها يموتون جوعاً أو يأكلون أوراق الشجر، دون أن يتلقون غذاء من تلك الدول الغنية فلا شك أن تلك الدول الغنية قد اشتركت في قتل مجموعة بشرية من الناس بعدم إغاثتها في نكبتها. وفي ذلك يقول الكتاب: "مَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلَا يَعْمَلُ، فَذَلِكَ خَطِيئَةٌ لَهُ" (يع ٤: ١٧).

ما نقوله عن منع الغذاء عمن يحتاجون إليه لحياتهم، نقوله أيضًا عن منع الدواء والعلاج عمن يحتاجونه لحياتهم. كذلك إن إهمال الجوعى والمرضى حتى يموتوا بجوعهم أو بمرضهم هو جريمة قتل واضحة. وإهمال هؤلاء حتى تتسبب أمراض مستديمة أو خطيرة هو نوع من القتل الجزئي. لذلك فإن منع الإحسان والصدقة عمن هم في مسيس الحاجة إليها لأجل حياتهم يدخل أيضًا بلا شك في نطاق الوصية السادسة. وفي هذه الخطبة قد وقع ذلك الغني الذي منع الرحمة عن لعازر المسكين (لو ١٦: ١٩ - ٢١).

وبنفس الوضع نستطيع أن نحكم على الكاهن واللاوي اللذين ورد ذكرهما في قصة السامري الصالح، إذ مرَّ كل منهما على الرجل الجريح المطروح في الطريق، وجاز مقابله دون أن يقدم له أية معونة، تاركًا إياه للموت. ربما اعتذرا في داخلهما بأنه ليس ليهما وقت، وبأن خدمة الهيكل أهم والعبادة والذبائح أهم. ولكن السيد المسيح الذي قال: "أُرِيدُ رَحْمَةً لَا دَبِيحَةً" (مت ٩: ١٣) أرانا أن هذا الكاهن وهذا اللاوي كانا مخطئين. لأنهما تركا إنسانًا للموت دون أن يهتما به...

ومع أن هذا الإنسان لم يمت في الواقع إذ أرسل له الله السامري الصالح فأنقذه. إلا أنهما مع ذلك ليسا مبررين من مطاردة الوصية السادسة لهما. ترى لو لم يأت السامري الصالح لإنقاذ ذلك الرجل، أما كان سيموت ويطلب الله دمه، ليس فقط ممن جرحوه، وإنما أيضًا من الكاهن واللاوي اللذان لم ينقذه.

القتل بالمسؤولية

قد لا يقوم إنسان بنفسه بقتل شخص آخر، ولكنه يطالب بدم ذلك الشخص إن كان مسئولًا عن الشيء الذي تسبب في قتله، أو عن الشخص الذي تسبب في قتله.

وقد شرح الكتاب مثالاً لهذا في شريعة الثور النطاح. إذ قال: "وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فَمَاتَ، يُرْجَمُ الثَّوْرُ وَلَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ. وَأَمَّا صَاحِبُ الثَّوْرِ فَيَكُونُ بَرِيئًا. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ ثَوْرًا نَطَّاحًا مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ أَشْهَدَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضْبِطْهُ، فَقَتَلَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، فَالثَّوْرُ يُرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يُقَتَّلُ" (خر ٢١: ٢٨، ٢٩).

ونفس الكلام يقال أيضاً من جهة من يملك كلباً مسعوراً ويتركه طليقاً يؤذي الناس، دون أن يربطه بسلسلة أو يمنعه عن الإيذاء. هذا أيضاً مسئول عن أخطاء كلبه أو ما شاكل ذلك من الحيوانات.

وبنفس الوضع إذا حفر إنسان بئراً، ولم يغطها: إن وقع فيها حيوان لإنسان فمات، يقوم صاحب البئر بدفع التعويض اللازم (خر ٢١: ٣٣، ٣٤). أما إن سقط فيها إنسان فمات، فإن صاحب البئر تكون عليه مسئولية حياة هذا الإنسان.

وما نقوله عن البئر نقوله أيضاً عن الجدار وما يشبهه. وفي الكتاب المقدس نص على ذلك إذ يأمر بأنه: "إِذَا بَنَيْتَ بَيْتًا جَدِيدًا، فَأَعْمَلْ حَائِطًا لِسَطْحِكَ لِكَلِّ لِكَلْبِكَ إِذَا سَقَطَ عَنْهُ سَاقِطٌ" (تث ٢٢: ٨).

بهذا النص نفسه يقع في مسئولية الوصية السادسة ذلك المهندس الذي يصمم جهازاً تالفاً يؤدي إلى موت إنسان أو يخطئ في تقدير التسليح السليم لخرسانة بيت، فيسقط البيت ويموت بعض سكانه. وفي نفس المسئولية يقع المقاول الذي لا يضع الكميات المناسبة من الإسمنت في خلطة الخرسانة فيضعف البناء ويسقط على سكانه. على أن هذا الأمر الأخير لو كان بقصد وسوء نية فإن خطيئة أخرى تضاف إليه...

نفس هذا الكلام نقوله عمن يخرج بعربة تالفة لم يستوثق من سلامتها، كأن تكون فراملها تالفة فصدمت هذه العربة إنساناً، يكون صاحبها مسئولاً عن حياته.

وقد تكون العربة سليمة ولكن صاحبها يستخدم لها سائقاً متهوراً، أو سكيراً أو مختل العقل، أو ضعيف البصر، أو مرهقاً يسوقها وهو نصف نائم، أو غير متمكن من فن القيادة. فإن صدمت هذه العربة إنساناً، وكان صاحبها على علم سابق بصفات السائق، فإنه بلا شك يدان بالوصية السادسة.

والكلام الذي يقال عن سائق متهور، يمكن أن نقوله بالمثل عن ابن لم يؤدبه أبوه فأذى الناس، وتركه أبوه يؤذيهم دون تربية أو عقاب. ونقول هذا أيضاً عن مدير أي عمل يستبقي موظفاً شرساً يؤذي الناس أو يجرح شعورهم، أو يتسبب في قطع أرزاقهم، أو يجلب عليهم ضرراً بأي نوع. هذا المدير مسئول عن مرؤوسيه وعن أعمالهم إن كان لا يقوم بتوجيههم ولا بتأديبهم.

ويدخل في نطاق القتل بالمسؤولية أيضًا إن كان في بيتك جهاز بوتاجاز تالف يمكن أن يتسبب في اختناق الآخرين، دون أن تنبه أنت إلى ذلك. أو إن كان هناك جهاز يمكن أن يتسبب في قتل أحد إذا لم يحسن استعماله، ولم يحدث تنبيه عن ذلك... المفروض فيك - إذا كان عندك أي شيء يمكن أن يسبب ضررًا بسوء استخدامه - أنك تشرح وتتولى تفهيم من هم حولك وحوله حتى لا يموت منهم أحد عن طريق الجهل... أو على الأقل تخفيه عن الأطفال وعن الذين يجهلون استخدامه.

الفصل الخامس قتل الروح

أمثلة من قتل الروح:

هناك قتل للروح. وقتل الروح هو فصلها عن الله، وإلقاؤها في جهنم. وهذا التعبير عن قتل الروح ذكره الكتاب المقدس عندما قال عن الخطية إنها: "طَرَحَتْ كَثِيرِينَ جَرْحَى، وَكُلُّ قَتْلَاهَا أَقْوِيَاءُ" (أم ٧: ٢٦).

وربنا يسوع المسيح عندما تكلم عن إبليس في مناقشته مع اليهود في (يو ٨: ٤٤)، قال لهم: "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قَتَالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ". إننا لم نسمع أن الشيطان قتل إنساناً بمعنى ذبحه. ولكن عبارة: "كَانَ قَتَالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ" معناها أنه أهلك نفوسهم وربما في الجحيم.

وفي هذا المعنى أيضاً يقول الكتاب: "أَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ" (٢كو ٣: ٦). فما معنى كلمة "يقتل" هنا؟ معناها أن الذي يأخذ الوصية حرفياً. إنما يقتل نفسه روحياً بعدم الفهم.

إذاً هناك قتل للروح كما يوجد قتل للجسد. ومن أمثلة قتل الروح: إبعاد الناس عن الإيمان السليم، وعدم الرعاية، والإهمال في التربية، أو تقديم القدوة السيئة، أو إثارة الآخرين، أو الحرمان الظالم...

البدع والهرطقات

فالذين يعلمون الناس طريقاً خاطئاً في الإيمان، أو يرشدونهم إرشاداً خاطئاً يتلف حياتهم الروحية، إنما هم بذلك يكونون قد قتلوا هذه النفوس وألقوها في الجحيم.

ومن أمثلة هذا ما فعله الهرطقة والمبتدعون. أولئك ارتكبوا عن طريق هرطقاتهم جرائم قتل واسعة النطاق جداً. لأنهم أهلكوا آلافاً من الناس وربما الملايين، وضيعوهم، وقتلوهم بقتل أبشع من القتل الجسدي. لأنه من القتل الجسدي ربما تخلص الروح وتصل إلى الله، بينما في الهرطقة يتلف إيمان الإنسان وعقيدته ويكون مصيره الهلاك الأبدي. لذلك نضع في مقدمة أولئك القتلة آريوس

ومقدونيوس ونسطور... ولوثر وكثيراً من المبتدعين الحاليين كأصحاب بدعة شهود يهوه والسبتيين إلخ...

لذلك احترس كثيراً من جهة التعليم. لا تتشر أفكارك الخاصة كأنها عقائد يؤمن بها الناس وبخاصة الآراء الجديدة أو التي تبدو مخالفة لشيء من أقوال الآباء أو لشيء من العقيدة المعروفة كال تقليد العام...

لا يصح مطلقاً أن تستهويك الجدة أو يستهويك التطور. وتبدأ في نشر مبادئ جديدة. لئلا تقتل آخرين وتضيع إيمانهم. فقد قال الكتاب: "لَا تَنْقُلِ التَّخَمَ الْقَدِيمَ الَّذِي وَصَّعَهُ آبَاؤُكَ" (أم ٢٢: ٢٨). أقول هذا يا إخوتي لأن كثيراً من البدع ربما تكون قد بدأت بطريقة سهلة: إنسان مثلاً يسرح في تأملاته الخاصة، فتأتيه فكرة جديدة، وتعجبه وتستهويه، وربما يظن أنه سيحدث حدثاً بنشرها، وينال إعجاباً من الناس بجدها إذ لم يسبقه إليها سابق، مهما كانت مخالفة للاعتقاد العام أو التقليد. وهكذا يبتدع في الدين ابتداءً.

فليحترس إذاً كل إنسان من نشر الابتداعات في الدين. ولا يظن أحد أنه قد صار بطلاً عندما يكون له مذهب جديد. إن كان يعقوب الرسول قد قال: "لَا تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي، عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ! لَأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْتَرُ جَمِيعًا" (يع ٣: ١، ٢). فلنخف إذاً من عبارة نأخذ دينونة أعظم... وفي الواقع أية دينونة أعظم من هذه، دينونة الإنسان الذي يتلف إيمان الناس وعقائدهم... اقرأوا الكثير الذي ورد في الكتاب المقدس عن أصحاب البدع وتهلكاتهم. إنهم جميعاً داخلون في كسر الوصية السادسة "لَا تَقْتُلْ"... ومن يدهم سيطلب الله دماء الذين انحرفوا بسببهم.

كذلك يدخل في نطاق هذه الوصية التعليم الحرفي، لأن الكتاب يقول: "الْحَرْفَ يَقْتُلْ وَلَكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي" (٢كو ٣: ٦). فالذين لم يصلوا إلى الفهم الروحي لكلمة الله، ويتجراؤون فيعلمون تعليمًا حرفيًا يخرج الناس من الروحانية إلى الشكلية أولئك إنما يقتلون أرواح سامعيهم. لذلك صدق الكتاب عندما قال: "لَا تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي، عَالِمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ!" (يع ٣: ١).

إهمال الرعاية

من أمثلة الناس الذين يقتلون الأرواح، أولئك الرعاة الذين لا يراعون رعيتهم حسب وصية الله. ويهتمون بأنفسهم دون أن يهتموا بالرعية تاركين إياها لأنياب الذئاب تقتربها، هؤلاء ينذرهم الله بما قاله حزقيال النبي العظيم: "فَاسْمَعْ الْكَلِمَةَ مِنْ فَمِي وَأَنْذِرْهُمْ مِنْ قِبَلِي... إِذَا قُلْتُ لِلشَّرِيرِ: مَوْتًا تَمُوتُ، وَمَا أَنْذَرْتُهُ أَنْتَ وَلَا تَكَلَّمْتَ إِنْذَارًا لِلشَّرِيرِ مِنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ لِإِحْيَائِهِ، فَذَلِكَ الشَّرِيرُ يَمُوتُ بِإِثْمِهِ، أَمَّا دَمُهُ فَمِنْ يَدِكَ أَطْلُبُهُ" (حز ٣: ١٧، ١٨، حز ٣٣: ٨).

انظروا يا إخوتي كيف أن الكتاب اعتبر حالة ضياع الخاطئ قتلًا روحيًا، وطالب بدمه من يد الراعي الذي لم ينذره وقد أكمل هذا المعنى بقوله: "وَإِنْ أَنْذَرْتُ أَنْتَ الشَّرِيرَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَنْ شَرِّهِ وَلَا عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ بِإِثْمِهِ، أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ نَجَّيْتَ نَفْسَكَ" (حز ٣: ١٩).

إذا فالراعي الذي لا يراعى رعيته في خوف الله، إنما هو قاتل من الناحية الروحية، ومن يده سيطلب الله دماء رعيته التي هلكت بإهماله في التعليم والتهديب والرعاية والافتقاد والاهتمام بكل أحد ليخلصه.

قد يقول أحد الرعاة: "ولكنني إنسان طيب لا أؤذي أحدًا، ولم أقتل أحدًا". حسن إنك طيب، أيها الراعي المبارك، ولكنك ليس من أجل هذه الطيبة أتيت. لقد أقامك الله راعيًا لكي تخلص نفوس الناس، وتتقدهم من جحيم النار، لكي تتعب وتشقى الليل والنهار من أجل أن تخلص على كل حال قومًا. أتيت لتبذل نفسك عن الآخرين بتعب وكد، في عرق ودموع، في سهر وصوم... أما إن جلست هادئًا طيبًا، ولم ترعهم، فإن الله العادل سيطلب نفوسهم من يدك.

وتزداد خطورة المسؤولية التي تقع على الراعي من جهة قتل أرواح الناس، إن كانت تعيش إلى جواره مجموعة من الهراطقة والمبتدعين أو الطوائف الغريبة، تضل الناس عن إيمانهم، دون أن يحيط هذا الراعي رعيته بالعناية والاهتمام والتعليم السليم. وعلى رأي الشاعر:

ومن رعى غنمًا في أرض مأسدة ونام عنها تولى رعيها الأسد

إن الرعاية المهملة التي تنسي خلاص النفوس، هي رعاية تطالب بجريمة قتل روحي للناس. وسيطالبها الله في يوم الدين بكل النفوس التي هلكت وضلت عن الإيمان، بسببها.

من أجل هذا كان آباؤنا القديسون يهربون خائفين من مناصب الرعاية، عالمين أنها ليست مركزاً إنما مسئولية. لذلك ينبغي علينا أن نهتم كثيراً باختيار الكهنة ورجال الإكليروس عموماً لنمنع جرائم قتل كثيرة...

إن الراعي الذي يترك شعبه للجهل يقتلهم، كما قال الكتاب: "هَلَكَ شَعْبِي مِنْ عَدَمِ الْمَعْرِفَةِ" (هو ٤: ٦) هذا لا بد سيطلب أيضاً بقتل هؤلاء الناس. فعليه أن يبذل كل جهده في تعليمهم وتهذيبهم وإنذارهم، حتى لا يضلوا عن طريق الرب لسبب جهلهم بالطريق. وقد رأينا كيف عاقب الرب عالي الكاهن لأنه تواني في إنذار أولاده (١صم ٢: ٢٩ - ٣٤).

أحكام الحرم الظالمة

يدخل أيضاً في نطاق جريمة القتل بالنسبة للرعاة، الرعاة الذين يحرمون أحداً ظلماً. وبهذا تعلم الدسقولية أن الراعي الذي بخفة يخرج أحداً من الكنيسة ظلماً إنما يقتل النفس التي كان يجب عليه علاجها. لأنهم شتتوا الرعية التي تعب الرسل في جمعها لكنيسة الله بتعب وكد وعرق ودموع. ولذلك تسجل الدسقولية للأباء الرسل عبارتهم المشهورة: "ومن أوجب القضية على أحد ظلماً، يخرج الحكم من فيه على نفسه".

لذلك لا يصح مطلقاً أن يلقي الرعاة عبارات الحرم والقطع والفرز بدون مبالاة، وبدون تحقيق، وفي خفة دون تقدير لخطورة هذا الأمر. إن هذه جريمة قتل أمام الله، قتل روحي. لأنها تمنع الغذاء الروحي عن نفس قد تموت وتهلك إذ تبعد عنها الوسائط الروحية. إن واجب الكنيسة أن تعالج أولادها لا أن تقتلهم. وحتى الشخص الذي تضطر إلى إخراجهِ أحياناً من البيعة المقدسة بسبب خطورته على باقي الأعضاء. عليها أن تتولى افتقاده وهو خارج البيعة كذلك حتى تؤهله للرجوع مرة أخرى.

ولكنكم أنتم لستم في وظائف الكهنوت. فماذا تكون عملية القتل الروحي بالنسبة إليكم؟ يحدث هذا إذا أهملتم في تربية أولادكم ومن في مستواهم كما سنرى ولم يشبوا في خوف الله وضلوا عن طريقه.

إهمال تربية الأولاد

كما أن الراعي مسئول عن تربية الشعب، كذلك كل واحد منكم مسئول عن تربية أولاده. فإذا شب الولد فاسداً، وذهبت نفسه إلى الجحيم، وكان سبب فسادة هو عدم تربيتك أنت له، فإن الله سيطلبك بدمه في اليوم الأخير، ويقول لك: "أَمَّا دَمُهُ فَمِنْ يَدِكَ أَطْلُبُهُ" (حز ٣: ١٨).

في بعض الأحيان يحدث أن انشغال الزوج بزوجته ينسيه مطالب أولاده. يظن أن الزواج مجرد علاقة بينه وبين امرأة. وينسى مسئوليته عن الأولاد التي سيعطي عنها حساباً مريراً أمام الله عندما يطلب من يده دم هؤلاء. انظر ماذا يقول الكتاب في تربية الأولاد: "وَلْتَكُنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلَادِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ..." (تث ٦: ٦، ٧).

من المفروض أن يهتم الرجل بتربية أولاده في خوف الله، لأنه مسئول عنهم كأب. كذلك هو مسئول عن حياة زوجته الروحية طالما هي في طاعته، لأن الرجل رأس المرأة. وإن لم يهتم الرجل بالحياة الروحية في بيته، وبخاصة بحياة زوجته وأولاده، منشداً كل حين قول الكتاب: "وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَتَعَبُدُ الرَّبَّ" (يش ٢٤: ١٥). فإن الله لا بد في يوم الدين يطالبه بدماء هؤلاء وأولئك.

قد يظن البعض أن الزواج مجرد وظيفة اجتماعية! كلا. بل الزواج قبل كل شيء وظيفة روحية تلد بها الأسرة بنياناً لله وأولاداً للكنيسة المقدسة؛ لذلك فنحن بمزيد من الفخر، وبمزيد من التمجيد، نقدر ونبارك الأمهات والآباء القديسين الذين أخرجوا لنا أولاداً برة مثل أبطال الإيمان، وأبطال النسك، وقادة الروحانيات في العالم. هؤلاء عرفوا أن لهم في الزواج واجباً روحياً مقدساً.

مش يبجي واحد فاسد مش عارف يعمل إيه في فسادة. ويقول أروح أتجوز! وإن تزوج مثل هذا الإنسان الفاسد هل معقول إنه يطلع أولاد كويسين؟! مش معقول... لازم يكون متأدب ومتربي ويعرف خوف الله، عشان يربي أولاده في خوف الله. لأن الزواج وظيفة روحية.

مثل هذا الشخص جايز يفكر أنه عايز يبسط أولاده ويفرفشهم، فتكون النتيجة أنه يجيب لهم وسائل اللهو المختلفة ووسائل المتعة، ويخلي بيتهم عبارة عن جحيم. وإذا أراد ولد من أولاده أن

يمشي في طريق الله، يجد عذاب عثرات وموانع كثيرة! لا شك أن مثل هذا الأب هو قاتل من الناحية الروحية. إنه يقتل أولاده أراد ذلك أو لم يرد.

إن ابنك الفاسد سيطلبك الله بدمه في اليوم الأخير، فإن كنت لم تؤد واجبك من نحوه، سيقول لك ماذا فعلت من أجله؟ لقد كان هذا الابن عجينة في يدك يوماً من الأيام تشكله كيفما تشاء، فماذا فعلت به؟

إن كان الولد عندما يذهب إلى مدارس الأحد ساعة واحدة في الأسبوع، يستطيع مدرسه بمعونة الرب أن يربيه روحياً ويعلمه وصايا الله. ويقدمه ابناً صالحاً للكنيسة. فما هو مجهودك أنت كأب يقضي معك باقي ساعات الأسبوع الـ ١٦٨؟

إنك في عنايتك بابنك لا تربي لحوماً، إنما تربي نفساً نقية مقدسة لله. هناك فرق بينك في تربية أولادك، وبين إنسان له حظيرة للأغنام يربيها لتقدم له إنتاجاً معيناً، إنتاجاً من اللحوم للدولة أو لثروته الخاصة... أما أنت فلست كذلك إنك تربي نفوساً تقدمها هدية للسماء وهدية للمجتمع وهدية للكنيسة.

القذوة السيئة

قد لا يقوم الوالدان بقتل ابنهما روحياً عن طريق تركه لعوامل الفساد، وإنما قد يقتلانه روحياً بالقذوة السيئة التي يقدمانها له.

وقد ينشأ الولد في بيت كله خصام، وكله عراك وشجار وألفاظ رديئة من السباب ومن الشتائم والإهانات التي يتبادلها الأب والأم. فيلتقط منهما هذه المعاملة. أو قد يرى راحته في أن يترك هذا البيت المتعب ليجد له متنفساً في الشارع أو في بيئة الأصدقاء الرديئة...

هل بعد هذا يقول الأب إنه لم يقتل؟! كلا بل إنه قد قتل في ابنه عوامل روحية معينة. قتل فيه مبادئ ومثلاً وقيماً سامية، وقدم له قذوة سيئة يضيع إن قلدها، ونقش في عقله الباطن صوراً عميقة لحياة بعيدة عن الله... وكل هذه عوامل قتل للنفس وهدم لروحياتها.

وقد تنشأ بنت في بيئة خليعة، فتجد لها أمّاً مستهترة في أزيائها، متبرجة في زينتها، عابثة لاهية غير مهتمة بشيء... فتظن الابنة المسكينة أن الحياة هي هكذا، وتشارك مع أمها في لهوها، وتعبث

معها وتضحك، وتترين بمثل زينتها، ولا تلبس إلا بطريقة لبسها... وتسير هذه الفتاة في الظلام المحبوب الذي أحبه الناس أكثر من النور. ألا تكون هذه الأم قد قتلت ابنتها روحياً؟!

والأبشع من هذا جداً أن مثل هذه الأم قد لا تكتفي بالقذوة السيئة التي تقدمها لابنتها. وإنما بالأكثر تحاربها كل المحاربة إن وجدت لها مبادئ متدنية متعففة محتشمة. وتأخذها مجالاً للتهكم والضحك والاستهزاء، وتشتمها بأقذع الشتائم والإهانات، وتمنعها عن مصادر التدين والحشمة! وهكذا تقتل روحياتها بكل عنف. وقد لا تستطيع الصغيرة أن تصمد أمام ذلك التيار، فتتجرف وتضيع، ويسمع الله في سمائه صوت دمها يصرخ من الأرض شاكياً من تلك الأم القاتلة.

يا إخوتي الأحباء لا تظنوا أن القتل هو مجرد قتل الجسد، مجرد أن يمسك الإنسان بسكين أو مسدس وينهي حياة إنسان على الأرض! إنما هناك أيضاً قتل روعي تقتل به نفس الإنسان من الداخل وتحطم به مبادئه ومثالياته...

وما نقوله من جهة القذوة عن الأبوين، نقوله أيضاً عن المربين والمعلمين وكل من لهم تأثير على نفس الإنسان، كل من هم موضع تقليد أو اقتداء من الآخرين. هؤلاء كل أعمالهم محسوبة عليهم، لأنهم قد يضيعون غيرهم ضياعاً كاملاً بما يقدمونه من قذوة منحرفة.

إن الأمر على العكس ينبغي أن يطرق من الناحية الإيجابية فلا نكتفي بمعالجة القذوات السيئة. وإنما يجب أيضاً أن نقدم قذوات صالحة لتربية جيل صالح.

العشرة

إن قتل الروح قد يأتي عن طريق العشرة. كأن تقدم الخطية لإنسان، أو تغريه بها، فيسقط بسببك، وتكون قد قتلت روحه، ويطالبك الله بدمه. وفي ذلك قال السيد المسيح: "وَمَنْ أَغْثَرَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعْلَقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ. وَيَلِّ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَٰلِكَ الْإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثَرَةُ!" (مت ١٨: ٦، ٧).

ولكن لماذا يا رب تلقي الويل على هذا الإنسان، ولماذا يكون من الخير له أن يعلق في عنقه حجر رحى ويلقى في البحر؟ ذلك لأنه قد قتل غيره بالعثرة. فالويل له حينما تؤخذ نفس عوضاً عن

نفس. لذلك احترسوا يا إخواني من العثرة لئلا تقتلوا نفوساً يطالبكم الله بدمائها في اليوم الأخير.

وقد ضرب لنا معلمنا بولس الرسول مثلاً للعترة في موضوع أكل ما ذبح للأوثان. وقال عبارته المشهورة: "إِنْ كَانَ طَعَامٌ يُعْتَزُّ أَخِي فَلَنْ أَكُلَ لَحْمًا إِلَى الْأَبَدِ، لئَلَّا أُغَيِّرَ أَخِي" (١كو٨: ١٣). وقد شرح خطورة ذلك بقوله: "لأنَّهُ إِنْ رَأَى أَحَدٌ يَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ، مُتَّكِنًا فِي هَيْكَلٍ وَثَنٍ، أَفَلَا يَتَقَوَّى ضَمِيرُهُ، إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ، حَتَّى يَأْكُلَ مَا ذُبِحَ لِلْأَوْثَانِ؟ فَيَهْلِكُ بِسَبَبِ عِلْمِكَ الْأَخُ الضَّعِيفُ الَّذِي مَاتَ الْمَسِيحُ مِنْ أَجْلِهِ. وَهَكَذَا إِذْ تُخْطِئُونَ إِلَى الْإِخْوَةِ وَتَجْرَحُونَ ضَمِيرَهُمُ الضَّعِيفَ، تُخْطِئُونَ إِلَى الْمَسِيحِ" (١كو٨: ١٠ - ١٢).

وهنا قدم لنا الرسول بولس مثلاً رائعاً في خطورة العثرة وفي نوعها. لأنه حتى إن كان العمل بريئاً في ذاته، ولكنه يعثر الضعفاء، فلا يصح أن تعمله مطلقاً حرصاً على ضمير أولئك الضعفاء، لئلا يفهموه فهمًا خاطئاً ويقلدوه فيهلكوا.

فماذا نقول إذاً عن العثرات الواضحة في خطيئتها. ماذا نقول عن الفتاة الخليعة التي تعثر غيرها بملابسها أو بطريقة حديثها أو بإغرائه للسقوط. ألا تكون هذه قد قتلت روحاً لإنسان، وتقف مدانة أمام الله بالوصية السادسة؟! وماذا نقول عن الصديق الفاسد الذي يلح إلحاحاً حتى يجبر زميلاً له إلى نفس طريقه فيهلكه؟ وماذا نقول عن الذي يغري موظفاً بالرشوة، أو يغري مسافراً بالتهريب؟ أو يشرح لزميل جديد طرقاً لا يعرفها يهرب بها من القانون؟

وماذا نقول عن الصديق الذي يفتح عيني صديقه على أخبار للخطية لا يعرفها ويفسد عقله البسيط بما يشرحه له وبما يقدمه لعقله من أفكار ولقلبه من شهوات؟! إنه ولا شك قاتل لهذه النفس حتى لو قال إنه لم يمسه سكيناً في حياته كلها!

ابحث يا أخي في حياتك: هل أنت سبب عثرة لأحد، أو سبب خطيئة لأحد؟ في أي شيء...

ما أشد خطر العثرة، وما أشد عقوبتها.

إن كان القتل عقوبته الموت، فإن العثرة كذلك، بنفس العقوبة. لقد شدد الرب على عقوبتها فقال: "مَنْ أَعْتَزَّ أَحَدٌ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعْلَقَ فِي عُنْقِهِ حَجَرٌ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ" (مت ١٨: ٦). ثم صبَّ الويل على من تأتي العثرة بواسطته فقال: "وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعَثَرَاتِ! فَلَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَلِكِ الْإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعَثْرَةُ!"...

وفي العقوبة في اليوم الأخير ذكر مسببي العثرة قبل فاعلي الإثم، فقال عن مجيئه الثاني: "يُرْسَلُ ابْنُ الْإِنْسَانِ مَلَائِكَتَهُ فَيَجْمَعُونَ مِنْ مَلَكُوتِهِ جَمِيعَ الْمَعَاثِرِ وَقَاعِلِي الْإِثْمِ، وَيَطْرَحُونَهُمْ فِي أَثْوَنِ النَّارِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الْأَسْنَانِ" (مت ١٣: ٤١، ٤٢).

وهكذا كانت عقوبة بلعام خطيرة، لأنه ألقى معثرة أمام الشعب (رؤ ٢: ١٤). يربعام بن نباط لأنه جعل الشعب يخطئ (١ مل ١٣: ٣٤) - ما أخطر العثرة، وبخاصة لو كانت عثرة تشمل كثيرين، وتصدر من شخص كبير.

الانتحار الروحي

إن الإنسان قد يُقتل روحياً، كما يقتل غيره روحياً. وأول شيء يقتل به روحه هو الخطية، فالخطية هي موت إذ يقول الرسول: "وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا" (أف ٢: ٥)، و"أَجْرَةُ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتُ" (رو ٦: ٢٣)، و"اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتُ" (رو ٨: ٦). والإنسان بالخطية يقتل روحه، إذ يفصلها عن الله، ويلقي بها في جهنم. الخطية إذاً هي انتحار روحي، وبها يهلك الإنسان ذاته.

والإنسان أيضاً يقتل ذاته روحياً، عندما يمنع عنها غذاءها الروحي، عندما يحرمها من الصلاة والتأمل والقراءات الروحية والاعتراف والتناول والاجتماعات الروحية وسائر وسائل النعمة، فتضعف الروح وتمرض وتتحل وتسقط. وقد تموت... إذاً فالإنسان الذي يسلك حسب الجسد، والذي ينهمك في ملاذ العالم وشهواته، إنما يدخل في نطاق الوصية السادسة... وقد قال الرب: "مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا" (مت ١٠: ٣٩).

والإنسان الذي يربط نفسه بعبادات رديئة، إنما يقتل روحه أيضاً، ويقتل إرادته. فاهربوا من العادات القاتلة للنفس...

الفصل السادس قتل الإنسان لنفسه

إن قتل النفس - أي الانتحار - جريمة مثل قتل الآخرين، ويوجد انتحار مباشر يموت به الإنسان لوقته، وانتحار تدريجي أو جزئي يقتل الإنسان شيئاً فشيئاً على مدى زمني طويل، كما سنرى...

الانتحار

الانتحار جريمة قتل. والإنسان لا يملك ذاته حتى يتصرف فيها كما يشاء، إنها ملك للمسيح، اشتراها بدمه فأصبحت له. وهي ملك للرب، هو خلقها من العدم، فهي له. وهي وزنة لا يجوز تبديدها، بل استخدامها لمجد الله. والكنيسة تمنع الصلاة على المنتحر، لأنه مات وهو قاتل، مات وهو مرتكب لخطية لم يعط لنفسه فرصة للتوبة عنها. وإن كان يمكن أن يستثنى من هذه القاعدة من يثبت أنه كان في حالة جنون كامل أثناء انتحاره، لأن المجنون لا يحاسب عن أعماله.

وبالإضافة إلى خطية القتل يتضمن الانتحار خطية أخرى هي اليأس وقطع الرجاء، مثلما حدث مع يهوذا. والرجاء هو إحدى الفضائل الثلاث الكبار التي أشار إليها بولس الرسول (١كو ١٣: ١٣). والشخص المؤمن لا يصح أن يفقد رجاءه مطلقاً في مراحم الله. فإذا وصل الأمر إلى الانتحار، يكون الإنسان قد وصل إلى منتهى قطع الرجاء، أي إلى عمق الخطية، عمق اليأس من مراحم الله وتدخله. وفي هذا عدم إيمان بمحبة الله ورعايته وحفظه...

وفي الانتحار أيضاً عدم احتمال.

وفي الانتحار خطية أخرى هي عدم الإيمان بالحياة الأخرى. لأن الإنسان الذي يقتل نفسه يظن أن الموت سينهي متاعبه. وهذا خطأ. إن مثل هذا الشخص - لو كان يؤمن حقاً بالحياة الأخرى - لعرف أنه بالانتحار ينتقل إلى الجحيم، وينتظره عذاب لا ينتهي في الأبدية. وهكذا لا يكون الانتحار

قد وضع حدًا لمتاعبه، وإنما يكون قد فتح على نفسه بابًا لمتاعب أشد وأفظع، كمن خرج من حفرة ليقع في بئر!! يقينا أن المنتحر لا يضع أمامه مطلقًا صورة الأبدية. فلو فكر في الأبدية، لخاف من الانتحار...

إن الانتحار هو حل غير روحي وغير عملي للمتاعب. وغالبًا ما يكون المنتحر مختلًا من الناحية العصبية ومن الناحية العقلية، بحيث لا يفكر تفكيرًا سليمًا. هو إنسان قد وقف عقله جامدًا أمام مشكلة، ولم يستطع أن يفكر، فارتبك، وفي ارتبائه سدت أمامه جميع السبل، فقتل نفسه. هذا الانتحار هو الوضع التام لقتل النفس. على أن هناك أنواعًا أخرى جزئية وغير مباشرة للانتحار...

الانتحار التدريجي أو غير المباشر

★ ما أكثر الوسائل التي يقتل بها الناس أنفسهم، دون أن تأخذ في نظرهم اسم الانتحار أو صورته. ونذكر من بينهما عدم المبالاة بالقواعد الصحية...

لا داعي أن ندخل كثيرًا في تفاصيل هذه النقطة، إنما ينبغي أن نقرر أولاً أن الجسد وزنة معطاة لنا من الله لكي نتاجر بها ونربح، ونحفظها سليمة على قدر إمكاننا لكي نقوم بالعمل الروحي المطلوب منها.

إن المسيحية لا تدعو إلى قتل الجسد، وإنما إلى قتل شهوات الجسد التي تعارض محبة الله. كل نواحي الإماتة التي تتكلم عنها المسيحية، من زهد ونسك وصلب للأهواء، هي إماتة للشهوات الجسدية وليس للجسد نفسه.

فعندما يقول الرسول: "مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ" (رو ٨: ٣٦) أو "الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا" (٢كو ٤: ١٢). أو عندما يقول الرب عنا: "إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَتَمُتْ... لا يمكن أن تأتي بثمر (يو ١٢: ٢٤)، أو عندما نصلي في قطع الساعة التاسعة ونقول: "أمت حواسنا الجسدانية أيها المسيح إلهنا ونجنا"، لا نقصد مطلقًا موت الجسد، إنما موت شهواته.

وفي قولنا: "أمت حواسنا الجسدانية" لا نعني الموت الحرفي للحواس، فلا نسمع ولا نبصر ولا نحس، كلا، وإنما معناها أن هذه الحواس لا تتجه اتجاهًا جسديًا ضد الروح...

إن الرسول إذ يقول: "أَفَمَعْ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ" (١كو٩: ٢٧) أي أخضعه للروح، إنما يقول أيضاً إن الإنسان: "يَقْوُهُ (جسده) وَيُرِيَّهِ" (أف٥: ٢٩). ومن أجل هذا الجسد وسلامته، أعطانا الرب شريعة السبت، لكي تستريح فيه أجسادنا، وفي راحتها تتفرغ لعمل الرب... وقد اهتم سيدنا له المجد بأجساد الناس وكان "يَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ" (مت٤: ٢٣؛ ٩: ٣٥).

إن الله يريد لنا أجساداً سليمة نستطيع بها أن نخدمه.

فالرسل القديسون عندما كان جسداهم ضعيفاً، لم يستطيعوا أن يسهروا مع الرب ساعة واحدة (مت٢٦: ٤٠). الجسد السليم يمكنه أن يقوى على الوقوف في الصلاة. والسجود أمام الله، والسهر في العبادة، والسير في الخدمة، والثبات في الصوم. ويستطيع أن يقوم بأمانة وكفاءة بكل واجباته الروحية والعالمية. كذلك فإن ضعف الجسد ومرضه، كثيراً ما يعكر صفاء الذهن...

لذلك - من أجل خدمة الرب - ينبغي أن نحافظ على وزنة الجسد، لكي نمجد الله في أجسادنا التي هي للرب كما قال الرسول: (١كو٦: ٢٠). وهكذا نقتل الجسد بالإهمال.

أليس أمراً مؤسفاً حقاً أن يتلف الإنسان جسده، ويقتله قتلاً تدريجياً غير ملحوظ، بمجرد طريقته الخاطئة في الأكل مثلاً، التي تفسد صحته وتلقيه في أمراض تهدد هذا وتُعجل بنهايته؟!

إن الناس يتلفون صحتهم بالطريقة المعقدة التي يطهون بها أطعمتهم وبأصناف الحلوى التي يأكلونها، والتي ترهق الجسد إرهاقاً حتى يتم هضمها. الناس قديماً لم يكونوا هكذا، لذلك كانت صحتهم أقوى. وكذلك الرهبان الذين يأكلون الطعام بسيطاً غير مركب وغير معقد...

كذلك يرهق الجسد من الأكل بسرعة، ويرهقه الأكل بغير نظام، وفي غير مواعيد ثابتة، وخاصة الأكل بين الوجبات. وهكذا يصبح داخل الجسم طعام قارب على الهضم، آخر نصف مهضوم، وآخر ربع مهضوم، وآخر جديد لم يبدأ هضمه. وتصبح المعدة في غاية الارتباك تشكو من نهم الإنسان وجشعه وتخمته...

ومما يتلف الجسد أيضاً الإكثار من أكل الدهون. إنها متعبة جداً في هضمها... وكثير من الناس - للأسف الشديد - يظنون أنهم كلما يأكلون الدهون يسمنون وتحسن صحتهم، والعكس صحيح. فجميع رجال الطب وعلماء التغذية يقولون إن اللحم الأحمر أخف وأسهل هضماً من اللحم

المدهن. والإسراف في أكل الدهون يتعب الكبد والمرارة والمعدة، ويلقي على الإنسان ثقلًا من الشحم ينوء بحمله، وقد يسبب له ارتفاعًا في ضغط الدم.

★ ومن العوامل القاتلة للجسد أيضًا عدم العفة، والإسراف في الشهوات.

فإن طريق النجاسة يتلف الجسد، وكثيرًا ما يصيبه بأمراض خطيرة.

★ ومن الطرق التي يقتل بها الناس أجسادهم - عن غير قصد - الإنهاك الشديد وعدم

إعطاء الجسد ما يلزمه من راحة.

إن الله الذي يعرف طبيعة جسدنا واحتياجاته، ومقدار طاقته واحتماله، أعطانا يومًا للراحة في كل أسبوع. وقال إن: "السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لِأَجْلِ الْإِنْسَانِ" (مر ٢: ٢٧). فإذا حدث أنك أرهقت جسدك أزيد من طاقته على الاحتمال، وتحديث طبيعته الضعيفة، فأنت ولا شك تقتله قتلًا جزئيًا... وكثير من الناس ماتوا فجأة، أو أصيبوا بذبذبات صدرية. نتيجة لإرهاق أشد من احتمالهم.

أعرف زميلًا لي مرض بالسرطان سنة ١٩٤٨م، واشتد به الألم جدًا حتى ما كان يستطيع أن ينام مطلقًا على الرغم من كل العناية التي كانت تبذل من أجله، فقد جاء وقت فقدت فيه الحقن المخدرة تأثيرها عليه وأصبحت لا تستطيع أن تجعله ينام. وقد زرته في ذلك الحين في القصر العيني وسألت عنه الطبيب المختص وكان من زملائي في مدارس الأحد. فقال لي: "لم تبق سوى أيام معدودات ويموت. إن لم يمت عن طريق السرطان، فسيموت بسبب ال exhaustion أي الإنهاك الشديد لعدم نومه، لأن قلبه سوف لا يحتمل عدم النوم والحرمان من الراحة كل هذه المدة...". وتم ذلك فعلًا، وبعد أيام فارق ذلك الأخ الحياة، إذ لم تحتمل طبيعته إرهاق الألم والتعب.

التدخين

ما أكثر السموم الموجودة في السجائر، أهمها النيكوتين وسلفات الأيدروجين، وحامض الكربونيك، وكثير من المواد السامة الأخرى...

وقد قيل إن كمية النيكوتين الموجودة في عشرين سيجارة يمكن أن تقتل إنسانًا لو أخذها دفعة واحدة. وكونها لا تقتله إذ يأخذها مجزأة على فترات، فإن هذا لا يمنع مفعولها القاتل التدريجي في جسم الإنسان.

وما أكثر الأمراض التي يسببها التدخين، أمراض للحلق، وللأسنان، وللغم، وأمراض أخرى للرئة وللشعب الهوائية، يضاف إلى هذا تأثيرها الضار على الدم والقلب والأعصاب... إلخ. لقد وجد أن كثيراً من سرطان الفم واللثة وسرطان الرئة يرجع إلى التدخين.

وتأثير التدخين على الشعب الهوائية والرئة ضار جداً، وكثيراً ما يصاب المدخنون بالسعال المصحوب بالبلغم. أعرف شخصاً كان سباحاً ماهراً جداً، كان يغطس تحت الماء أكثر من دقيقة (بدون تنفس طبعاً). وبعد أن اعتاد التدخين ضعفت صحته جداً ولم يقدر على العوم مثلما كان يفعل من قبل، ولم يقو تنفسه على احتمال الغطس تحت الماء. وهناك رياضيون آخرون كانوا يقوون على الجري، ولم يحتملوا ذلك بعد التدخين، لأن تنفسهم لم يعد قوياً كما كان من قبل. إن المدخنين يُقتلون أنفسهم بلا شك.

أتذكر أنني منذ حوالي ٢٣ سنة كنت أنصح طالباً شاباً من زملائي في الدراسة بأن يترك التدخين. وظللت أشرح له ما قرأته عن مضاره. فقال لي أنا أعرف مضاره بالخبرة أكثر منك. فسألته عن ذلك فقال لي: في إحدى المرات أحضرت ميسماً وشربت به سيجارة. ثم أحضرت عود كبريت وقطعة من القطن ومسحت به الدخان العالق بجدار الميسم، فصارت القطنه سوداء من الدخان. فعرفت أن كل هذا الدخان لا بد أن يعلق بجدار رئتي وبالقصبة الهوائية والحلق والأسنان. كل هذا من سيجارة واحدة فماذا عن كمية السجائر التي أشربها كل يوم!!

كان هذا الشاب يعرف أضرار التدخين ولا يقوى على تركه. لأن التدخين كما كان يقتل صحته، كان يقتل إرادته أيضاً.

أنا في الحقيقة لم أكن أعرف أن الذين يشربون السجائر يبلعون الدخان. كنت أظن أن الدخان يدخل في الفم ويخرج منه ثم عرفت فيما بعد أنهم يبلعونه ويدخل إلى القصبة الهوائية والرئة، ويدمر كل ما يجده في طريقه، هذا الدخان الذي يدخل ساخناً إلى رئة الإنسان.

من القصص الطريفة أن أول رجل أدخل التدخين إلى إنجلترا، كان جالساً في منزله يدخن لأول مرة. فدخل عليه خادمه، ورأى الدخان يخرج من فمه. فارتبك الخادم، وافتر أن سيده جرى له حاجة فجرى بسرعة وأحضر جردل مملوء بالماء ورماه عليه. افتر أن سيده اتحرق أو شاط أو حاجة من

النوع ده، لأنه من جوه بيطلع دخان...!! أما الآن فقد أصبح هذا المنظر أمرًا عاديًا لا يضطرب بسببه أحد.

إن هذا الدخان الساخن الذي يدخل إلى الرئة، له تأثير كبير على الدم وكراته الحمراء. وهو يرفع ضغط الدم. ويقال إن ضغط الدم - أثناء التدخين - يرتفع إلى ٢٠٠ أو أكثر ويكون لهذا تأثير سيئ على القلب... إن بعضًا من أمراض الذبحة الصدرية يرجع في سببه إلى التدخين. ويضاف إلى كل هذا تأثير التدخين على المعدة والأمعاء. ومن المعروف أن التدخين يجعل الإنسان يفقد الشهية للأكل. وكثير من الناس يدخنون ولا يأكلون إلا قليلًا، ولا شك أن هذا يحطم صحتهم، ويجعل أجسادهم تتحل. وفي البيئات الفقيرة نجد كثيرًا من الناس يوفرون ثمن طعامهم لينفقوه على التدخين، فيهد ذلك صحتهم هذا.

وفي مجال الكلام عن الطبقات الفقيرة نذكر في ألم شديد أن هناك بعضًا من الصبية الصغار يشتغلون بجمع أعقاب السجائر من الطرقات، ويبيعونها لبعض التجار والمعروف أن أعقاب السجائر هي أكثر أجزائها خطرًا، وتتركز بها أكثر المواد السامة. يضاف إلى ذلك أنها تحمل أمراض المدخنين بها من قبل، كما تحمل قاذورات الطرق، وقاذورات جامعيتها. وبعد ذلك يفكها التجار ويأخذون تبغها الملوث المملوء بالسموم، ويلفونه من جديد ويبيعونه، أو يضيفون عليه موادًا أخرى ويسمونهم المعسل. وهذا السم يباع للناس ليفتك بهم فتكًا... ليتكم تنصحون أمثال هؤلاء المساكين إن صادفتهم أحدًا منهم...

ينبغي أيضًا ألا ننسى أثر التدخين على الناحية المالية، فمع حرق كل سيجارة، يحرق الإنسان ماليته وطعام أسرته. تصوروا أنهم في أمريكا ينفقون ٣٠٠٠ مليون دولار على السجائر!! إنه مبلغ ضخم يصلح أن يكون ميزانية لدولة بأكملها، كله يحرق، ويتحول إلى دخان يفسد الجو...! وفي مصر نستهلك اثني عشر مليون كيلو تبغ. شيء صعب... آلاف الأفدنة في بلاد العالم تستغل في زراعة التبغ، وملايين الملايين من الجنيهات تنفق على التدخين، فتسيء إلى الصحة العامة، وإلى الحالة الاقتصادية...

الاشتراك في قتل الآخرين:

غالبية الذين يدخنون لا يكتفون بقتل أنفسهم، وإنما يشتركون في قتل غيرهم. يقع في هذا الاشتراك ليس فقط الذين يتاجرون في هذه المواد القاتلة، وليس فقط الذين يدعون إليها ويشجعونها ويغرون الناس بها، بل أيضًا الذين يقدمونها إلى أصدقائهم بدافع من الكرم...!

فأنت عندما تعزم على واحد بسيجارة ليدخنها، تعتبر غلطان وداخل في نطاق الوصية السادسة إلى حد ما، لأنك تساعد على قتل نفسه. وجايز تفكر نفسك رجل مجامل ورجل كريم!! وجايز يبلغ بك (الكرم!) أن تتشدد كثيرًا في أن يأخذ منك الضيف أو الصديق، وتقول: "لازم" وتحلف كم يمين! وإن لم يأخذ منك تزعل، وتزعل ليه؟! أنت بتقتله! زي واحد ماشي في السكة ووقع في الوحل، عايز يوحد كل إنسان معاه...

فاكر وأنا شاب صغير، حاول البعض أن يعزموا عليّ بالتدخين وكنت أرفض رفضًا كاملاً. وفي مرة من المرات كانت لي صداقة كبيرة جدًا بأحد أساتذتي في الجامعة. كانت بيني وبينه محبة كبيرة، وكنت أزوره باستمرار في بيته. وبعدين عزم عليّ بسجاير فرفضت، فكرر وألح جدًا فرفضت، ولما لقيته زودها خالص، قلت له في محبة وابتسام: "حضرتك مش تحب وتتمنى إنك تبطل السجاير دي؟" فقال لي: "طبعًا". قلت له: "طيب ليه عايزني أعمل حاجة، أنت تحب تتخلص منها فقال لي: "على كيفك" وسكت، ولم يعد يعزم مرة أخرى...

فلا تفكر إنك عندما تعزم على واحد بالسجاير تبقى رجل كريم ومجامل وتفتخر بهذا! هذه السجاير تقتل صاحبك، وتتلف صحته، وتتلف إرادته، وتتلف ماليته، وتتلف حياته كلها. وهي نوع من القتل البطيء أو القتل الجزئي، أو القتل غير المباشر أو القتل البعيد المدى...

في مرة من المرات قال لي أحدهم "كل واحد بيشر ب سجاير، بيدعي على الشخص اللي علمه شربها أول مرة!!" طبعًا نحن لا نحب أن يدعو أحد طالبًا للنقمة من غيره. ولكن هذا الكلام يبين مقدار تعب النفس من الداخل واستيائها ممن يعلمها طريق الخطيئة...

وقد يتعلم الإنسان التدخين من والديه. عن طريق المحاكاة والقذوة السيئة، إما في السر، وإما في العلن. وقد يعرف الأب أن ابنه يدخن، ولا يجزؤ على منعه بل يخجل من منعه عن شيء هو

نفسه واقع فيه. وبهذا لا يحسن تربية ابنه، ويدان عنه أمام الله، ويطالبه الله بنفس هذا الابن في اليوم الأخير...

وإن كان التدخين غير مقبول من الرجل، فهو بالنسبة إلى النساء أكثر رداءة. إنه منظر بشع أن نرى امرأة تدخن... في نظري أنه بالإضافة إلى كل ما سبق أمر لا يتفق مع حياة المرأة وحشمتها... والمرأة التي تدخن لا يمكن أن يرجو المجتمع خيرًا من أبنائها: سينشأون بلا شك بنين مستهترين، تكون هذه الأم مشتركة في دينونتهم أمام الله.

الخمير والمخدرات

إن الخمير داء آخر يتلف الجسد. وهي تتلفه بقدر ما فيها من مادة الكحول. فكلما زادت نسبة هذه المادة فيها. زاد ضررها تبعًا لذلك.

المعروف أنه إذا وضعت حية في الكحول فإنها تموت. فإن كان الكحول يستطيع أن يقتل حية كلها سم، فكم بالأكثر بالنسبة لأعضاء جسد الإنسان!!

إن الخمير تتلف الكبد والمعدة والأمعاء. وإذا كثرت تصيب الإنسان بما يسمى بالتسمم الكحولي. ويحدث لشاربها غثيان ودوار وقيء. ولها تأثير ضار على المخ والأعصاب. والذي يكثر الشرب منها يفقد وعيه، ويقع على الأرض بلا حراك. أو قد يبدو شبه متيقظ، وتصدر عنه ألفاظ وأعمال لا تليق به. وتسمى هذه الحالة بالسكر. ويقال عن مثل هذا الشخص إنه: "سكران"...

والسكران يفقد اتزانته، بل يفقد إنسانيته واحترام الناس له. وكذلك يفقد إرادته وسيطرته على نفسه. وتكون الخمير قد قتلت روحياً واجتماعياً، وعقلياً أيضاً. إلى جوار قتلها لماله وقوت أولاده.

والكتاب المقدس قد هاجم الخمير والسكر فورد فيه:

"لَا تَنْظُرْ إِلَى الْخَمْرِ إِذَا احْمَرَّتْ... فِي الْآخِرِ تَلْسَعُ كَالْحَيَّةِ وَتَلْدَغُ كَالْأَفْعَوَانِ" (أم ٢٣: ٣١، ٣٢).
وأيضاً "الْخَمْرُ مُسْتَهْزِئَةٌ. الْمُسْكِرُ عَجَاجٌ، وَمَنْ يَتَرَنِّحُ بِهِمَا فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ" (أم ٢٠: ١). "حَقًّا إِنَّ الْخَمْرَ غَايِرَةٌ" (حب ٢: ٥). وقد نهى الكتاب عن الخمير "الَّذِي فِيهِ الْخَلَاعَةُ" (أف ٥: ١٨) وقال أن: "لَا سَكْرُونَ... يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللَّهِ" (١كو ٦: ١٠)، وأمرنا بعدم مخالطتهم (١كو ٥: ١١).

المخدرات

المخدرات سم قاتل لمن يتعاطاها ويدمنها. بها تتحطم أعصاب الإنسان، وبها يضعف جسمه وينحل، وتختل قواه العقلية، وتضيع إرادته ويصبح فاقد العزيمة. ولشعور العالم كله بخطرها حرمتها كافة الدول والحكومات. وصدرت قوانين في كل بلد بالقبض على كل من يستعملها، أو يتاجر فيها، أو حتى يفتنيها... إنها نقطة واضحة لا حاجة بنا إلى الاستفاضة فيها.

يبقى أن نقول إن كل هؤلاء الذين يقتلون أنفسهم عن طريق المخدرات أو الخمر أو التدخين، هؤلاء يقتلون ذريتهم أيضاً، إذ ينجبون نسلًا ضعيفًا هزيلًا قد ورث عنهم ضعفهم وهزالهم. فتكون خطية القتل بالنسبة إليهم ليست قاصرة عليهم، إنما هم قاتلون لأنفسهم ولغيرهم.

الفصل السابع إجابة أسئلة تتعلق بالموضوع

سؤال

• هل الصوم يدخل في موضوع (قتل النفس)؟

لأن أبي وأمي يضغطان عليّ أن أفطر في أيام الامتحانات، فماذا أفعل؟

الجواب

في الحقيقة إن الصوم ليس قتلاً للنفس، بل هو على العكس إصلاح للصحة، إن سلك فيه الإنسان بمعرفة.

إن الانقطاع عن الطعام يريح الكبد ويريح المعدة والأمعاء والجهاز الهضمي كله. والإنسان في فترة الصوم إنما يعطي جسده راحة من الإنهاك الكبير الذي ينهك به الجسد في فترة الإفطار. والطعام النباتي مفيد ونافع، وعاش به كثيرون أعمارًا طويلة، بصحة قوية. وقد ظل الإنسان نباتيًا إلى ما بعد فلك نوح (تك ٩). وفي الفترة التي عاشها الإنسان نباتيًا، كان عمر الشخص يزيد عن التسعمائة سنة (تك ٥).

لا تخافوا إذا من الصوم الانقطاعي، ولا تخافوا من الطعام النباتي.

إن الأبوين اللذين يضغطان على ابنهما أن يفطر، إنما يبرهنان على أن محبتهم لها طابع جسدي لا طابع روحي.

وهما بهذا الوضع إنما يسببان له عثرة، ولا يقدمان له قدوة صالحة في التمسك بالدين، ويوقعانه في حرج وارتباك: هل يطيعهما أو يطيع الله. وبهذا الارتباك يتعبان نفسيته في أيام الامتحانات التي تحتاج إلى هدوء وطمأنينة.

المعروف أن فترة الامتحانات هي فترة تقرب إلى الله، وشعور بالاحتياج إليه. وإن كان هناك طالب واقعًا في خطية، فإنه في أيام الامتحانات يتوب لكي يشفق الله عليه! فهل هذا يتفق مع كسر الصيام في تلك الفترة؟! غير معقول إطلاقًا...

وأنت يا ابني، لا تقطر في أيام الصيام وبخاصة في أيام الامتحانات، وتذكر قصة دانيال النبي الذي صام فتحسننت صحته (١١: ٩ - ١٦).

إن الصوم لا يتلف صحة الإنسان، بل يتلفها كثرة الأكل وبخاصة من الأطعمة الدهنة الدسمة، ويتلفها أيضًا الأكل بين الوجبات، والأكل السريع... وبعكس ذلك تتحسن صحة من يصوم، ومن يأكل أكلًا بسيطًا غير معقد. اعلّموا يا إخوتي أن الصحة تتمشى مع الروحيات، دائمًا...

إن الرهبان والنساك كانت صحتهم قوية، كثيرون منهم كانت أعمارهم طويلة...

القديس مقاريوس الكبير عاش ٩٠ سنة مع شدة صومه، فمن من الذين يأكلون اللحم يعيش مثل ذلك العمر، القديس مقاريوس الإسكندري عاش حوالي ٩٣ سنة وكان في فترة الصوم الكبير يأكل ورقة كرنب كل أسبوع. والأنبا أنطونيوس أبو جميع الرهبان عاش ١٠٥ سنة وكان رجل نساك وصوم. والقديس الأنبا بولا أول السواح عاش أكثر من ١٠٠ سنة وكان يأكل نصف خبزة يوميًا. والقديس الأنبا شنودة عاش حوالي ١٢٠ سنة مثل عمر موسى مع شدة صومه ونسكه... ويعوزنا الوقت إن تناولنا هذا الموضوع بالتفصيل، إنما نتركه لتأملاتكم الخاصة في سير القديسين.

ونفس الوضع يمكن أن يقال عن النباتيين وأعمارهم الطويلة، برناردشو مثلًا، عاش أكثر من ٩٠ سنة وكان نباتيًا. طبعًا الأعمار في يد الله. ولكنني قصدت من كل هذا أن أريكم أن الأكل النباتي لا يحطم الصحة كما تتصورون!! لماذا إذاً تخافون؟! إنه خوف ليس مبنياً على حقيقة...

هذا كله نقوله من الناحيتين العلمية والواقعية، ولكن لا ننسى مطلقًا العامل الروحي: معونة الله

في الصوم. وأثر راحة القلب وسمو الروح على صحة الجسد...

صدقوني إن كثيرًا من الأمراض في هذا الزمن سببها نفساني. بينما الدين علاج يفيد الروحانيين الذين يعيشون بلا هم، بل سلام في القلب، محبة وفرح وسلام من ثمار الروح القدس، تفيد الإنسان أكثر من الشحم واللحم والفيتامينات والمعادن... إن الطبيب لو استطاع أن يجعل مريضه في حالة نفسية مستريحة يكون قد عالجه.

اطمنئوا الصوم لا يقتل الإنسان، بل يفيدته ويقويه...

سؤال

• لنفرض أن صحة الجسد تعارضت مع صحة الروح، فماذا نفعل؟ وأيها نفضل؟

الجواب

في بعض الأوقات يضغط الإنسان على نفسه من أجل الروح. إن الهدف من الحياة ليس هو ترفيه الجسد، كلا، بل ينبغي تفضيل الروح على الجسد.

لذلك فإن أصحاب النفوس الكبيرة يضغطون على أجسادهم من أجل تحقيق الأهداف العالية التي أمامهم. وحسنًا قال الشاعر:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجساد

مثال ذلك، طالب مجتهد، يذاكر ويضعف جسده، لكي يؤدي واجبه ويصل إلى النجاح، فتستريح روحه. فإذا أنكه هذا الطالب جسده، لا نقول عنه إنه يقتل نفسه. لأنه ما أسهل عليه أن يستعيد قوته، بأن يستريح جسده فيما بعد، ويعوض ما فقده أثناء المذاكرة، وكم من أناس هدهم المرض هذًا، ثم عادوا فاسترجعوا قوتهم بعد حين...

كذلك الإنسان الذي يخلص في عمله الروحي، أو يتعب في خدمة الرب: من الجائز أن يتعب جسده وتضعف صحته. ولكنه في ذلك يقدم حياته قربانًا لله، مثل الشمعة التي تضئ للآخرين بينما تذوب هي وتظل تذوب حتى تنتهي...

عبارة "يقتل نفسه" تنطبق على الشخص الذي يضيع صحته بسبب أخطاء متعبة له، وبغير هدف سام. مثل الشخص الذي يضيع صحته في التدخين. مثل هذا الإنسان أية فائدة تعود على المجتمع من تدخينه؟! بالعكس، فإن الدخان الذي ينفخه من فمه يضر الآخرين... إنه يضيع صحته وماله في مقابل لا شيء... إنه عبارة عن طاقة مبددة. صحته طاقة مبددة، وكذلك ماله.

وعبارة "طاقة مبددة" تنطبق أيضًا على الابن الضال الذي: "بَذَرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ" (لو ١٥):

(١٣). هكذا كل إنسان ينفق في عيش مسرف. أما الشخص الذي يتعب في الخدمة، فهذا إنما يضحى بحياته من أجل الآخرين. وشتان بين القتل والتضحية.

لذلك عندما نرى بعض الكهنة ينهكون صحتهم في سبيل خدمة الرب. لا يصح أن نقول إنهم يقتلون أنفسهم، بل نقول إنهم يستشهدون، يضحون بأنفسهم من أجل الآخرين...

وهكذا رأينا قديسًا عظيمًا مثل بولس الرسول يقول: "مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لَا أَضْعُفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لَا أَلْتَهِبُ؟" (٢كو ١١: ٢٩). "فِي الْأَتْعَابِ أَكْثَرُ، فِي الضَّرَبَاتِ أَقْوَرُ... فِي الْمِيتَاتِ مِرَارًا كَثِيرَةً..." (٢كو ١١: ٢٣).

وعاش هذا القديس العظيم في مرض وتعب. لا نستطيع أن نقول لمثل هذا إنك تقتل نفسك بل نقول إنك شهيد أو شبه شهيد، وبالمثل كل إنسان يتعب من أجل مُثْل عليا وضعها أمامه.

إن أصحاب المبادئ الذين يفنون ذواتهم من أجل مبادئهم، هؤلاء لا يقتلون ذواتهم بل يمجّدونها ويتوجّونها بالأكاليل. وعندما يخرجون من الجسد، "يَسْتَرِيحُوا مِنْ أَتْعَابِهِمْ، وَأَعْمَالُهُمْ تَتَّبَعُهُمْ" (رؤ ١٤: ١٣).

وهكذا أيضًا الآباء الذين أتعبوا أجسادهم بالنسك الشديد في البراري والفقار، وبالسهر والصوم والجهاد في الصلوات والمطانيات. أولئك لم يقتلوا ذواتهم، بل جعلوا أنفسهم في حالة أفضل. ورفعوا الروح فوق الجسد فأصبح مقدسًا ساميًا...

بولس الرسول كان يقول: "حَامِلِينَ فِي الْجَسَدِ كُلَّ حِينٍ إِمَانَةَ الرَّبِّ يَسُوعَ... لِأَنَّنَا نَحْنُ الْأَحْيَاءُ نُسَلِّمُ دَائِمًا لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ" (٢كو ٤: ١٠)، (١١) ويقول: "مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ" (رو ٨: ٣٦) وأيضًا: "الْمَوْتُ يَعْمَلُ فِينَا" (٢كو ٤: ١٢). فالذي يفني جسده من أجل الله ونشر ملكوته، لا نسمي عمله قتلاً، بل مقدمة صالحة للرب.

تمامًا مثلما يضع واحد فينا حفنة بخور في الشوريا، فتحترق ولكن تعطي رائحة ذكية للرب. ثم ننظر إلى البخور في الشوريا فلا نجده. هل احترق؟ نعم، لكي يشتم منه الرب رائحة الرضا... هكذا أيضًا حياة بعض الناس مثل رائحة بخور، تحترق أجسادهم تعبًا وبذلًا وتضحية، ويتقبلها الله قربانًا طاهرًا ذكيًا.

يا إخوتي مصير الجسد إنه سينتهي، فإيا ليتته ينتهي من أجل عمل صالح، كثير من الناس يفنون أجسادهم من أجل أغراض عالمية، فإيا ليتنا نحن نقدم أجسادنا من أجل الروح، كما قال

الرسول: "قَاطَلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ... أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللَّهِ، عِبَادَتَكُمْ الْعَقْلِيَّةَ" (رو ١٢ : ١).

من هذا النوع أيضًا النساك والعباد الذين تتحول أجسادهم إلى جلد على عظم، لكن قوة روحية عظيمة تكون في ذلك الجسد النحيل المسكين، والروح تكون في عنفوانها.

بعكس ذلك أشخاص يربون أجسادهم، مثل شاة تقدم للذبح. فماذا يفيدهم ذلك؟ لا شيء الجسد سيدركه العفن. وبعد الموت يضعون عليه أطياب وروائح لتمنع رائحته العفنة.

أما أنتم فقدموا أجسادكم ذبيحة مقدسة مرضية عند الله. واضعين أمام أعيننا باستمرار قول القديس بولس الرسول: "لِذَلِكَ لَا نَفْشَلُ، بَلْ وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يُفْنَى، فَالِدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا" (٢كو ٤ : ١٦).

ويجب أن نفرق بين قتل النفس والاستشهاد...

إن الذي يقتل نفسه يرتكب جريمة لا يرضاها الله، ولكن الذي يستشهد ينال إكليلاً ومجدًا. فيمكن للإنسان أن يضع نفسه لأجل الرب أو لأجل الآخرين. وقد يعاني الجسد كثيرًا، ولكن الروح ترتفع وتسمو. وفي كل ذلك يعزينا قول بولس الرسول: "لَأَنَّنا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقْضَ بَنِيَّتُ خَيْمَتِنَا الْأَرْضِيَّةِ، فَلَنَّا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءً مِنَ اللَّهِ، بَنِيَّتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيَّةٌ" (٢كو ٥ : ١).

فاجعلوا اهتمامكم بالروح أولاً، وقبل كل شيء. واجعلوا الجسد مجرد خادم يحقق رغبات الروح: يضيء من أجلها ويبذل، ويحتمل...

ولا تترفهوا أجسادكم ترفيهًا يقتل الروح، وأيضًا لا تقتلوها. الطريق الهادي المعتدل هو الطريق الحكيم. فاسلكوا فيه.

في هذا الكتاب

إن كنت تظن أن وصية "لا تقتل" هي وصية موجهة إلى غيرك لا إليك.

وإن كنت تظن أنك لم تكسر هذه الوصية قط، فأقرأ هذا الكتاب...

وسترى أنواعًا كثيرة من القتل، منها:

قتل الروح، وقتل الجسد، والقتل المعنوي، وقتل الإنسان لنفسه، والقتل بالنية والفكر، والقتل

بالمسؤولية، والقتل بالاشتراك، والقتل الجزئي، والقتل غير المباشر...

وبعد أن تتمعن في فهم الوصية جيدًا... اعرف أن كل وصية في الكتاب المقدس هي لك...

شأنه الثالث